البعث الأسبوعية

الأربعاء ٢٤ آذار ٢٠٢١ العدد ٢٨

مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن دار البعث للصحافة والطباعة والنشر

٣٢ صفحة

آن للتجار التوقف عن المضاربة!!



3 هل يعزز الحزب أدبياته وتاريخه النضالي؟

5 «القمة» الأولى بين بوتين وبايدن

8 ماذا سيحل بالجنس البشري؟؟

9 الشعبوية الأوروبية في صعود.. مرة أخرى

12 ماذا فعلت السورية تنفيذا للمرسوم رقم «١»

14 تعثّر مشروعات طرطوس الاستثمارية..

22 «قمر حلب» لم يترجّل.. رحيل ميادة بسيليس

28 السعادة.. هل «تنبع من الداخل»

إعفاء القروض الطلابية من الرسوم والطوابع ورفع طبيعة العمل والحوافز والمكافآت لعمال الشركة العامة للمدفوعات الإلكترونية

"البعث الأسبوعية"
ـ صفحتا الرئاسة ومجلس الوزراء

أصدر السيد الرئيس بشار الأسد المرسوم التشريعي رقم ٤ لعام ٢٠٢١ الذي ينص على إعفاء القروض الطلابية التي يمنحها صندوق التسليف الطلابي من كل الرسوم والطوابع، وفيما يلي نص المرسوم:

رئيس الجمهورية، بناء على أحكام الدستور، يرسم ما يلي:

المادة ١- تعفى القروض الطلابية والوثائق المتعلقة بها التي تمنحها الهيئة العامة لصندوق التسليف الطلابي وفقاً للأهداف المحددة لها من الرسوم والطوابع والبدلات المترتبة على منحها أياً كان نوعها بما فيها رسم الطابع المالي وجميع الإضافات المترتبة عليها.

المادة ٢- تصدر التعليمات التنفيذية لهذا المرسوم التشريعي بقرار من وزير المالية.

المادة ٣- ينشر هذا المرسوم التشريعي في الجريدة الرسمية.

دمشق في ٩-٨-١٤٤٢ هجري الموافق لـ ٢٣-٣-٢٠٢١ ميلادي.

رئيس الجمهورية
بشار الأسد



وكان الرئيس الأسد وجه مجلس الوزراء بتقديم إعانة مالية إلى حساب صندوق التسليف الطلابي قيمتها خمسة مليارات ومئتا مليون ليرة حيث يصبح رأسمال الصندوق ستة مليارات ليرة سورية وذلك بهدف تمكين الصندوق من زيادة قيمة القرض الشهري للطلاب إلى ٤٠ ألف ليرة وزيادة القرض الشخصي للطلاب إلى مبلغ ٣٠٠ ألف ليرة.

وفي تصريح أكد وزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتور بسام إبراهيم أهمية المرسوم في تخفيف الأعباء المالية عن الطلبة وأسرهم في ظل الأوضاع الحالية ودعمهم لمتابعة تحصيلهم العلمي، مبيناً أنه لن يقتطع أي مبالغ من القروض التي ستمنح للطلاب، وأشار إلى أن الوزارة وضعت بالتعاون مع الاتحاد الوطني لطلبة سورية ومجلس إدارة صندوق التسليف الطلابي ورؤساء فروعه في المحافظات المعايير والاسس التي سيتم بموجبها التفاضل بين الطلبة الراغبين بالاستفادة من القروض الشهرية والشخصية وفق مفاضلة الكترونية دقيقة.

وتتضمن المعايير، وفق الوزير إبراهيم، طبيعة اختصاص الطالب سواء كان يدرس في كلية تطبيقية أو كلية نظرية أو معهد تقاني ومعيار التفوق الدراسي والوضع الاجتماعي لأسرة الطالب من حيث عدد أفرادها أو سواء كان الأب على قيد الحياة أو متوفياً أو إذا كان الطالب من ذوي الإعاقة.

وتقبل طلبات الاستفادة من هذه القروض اعتباراً من يوم الأحد ٢٨-٣-٢٠٢١ ولغاية ١٥-٤-٢٠٢١ على أن تصدر نتائج المقبولين خلال أسبوع من انتهاء تقديم الطلبات، وفق وزير التعليم العالي، الذي أوضح أنه طلب من كل رؤساء فروع صندوق التسليف الطلابي في الجامعات ومن مجلس إدارة الصندوق وكذلك رؤساء الجامعات تقديم التسهيلات وتبسيط الإجراءات لجميع المتقدمين الراغبين بالحصول على القروض.

مجلس الوزراء

وكان مجلس الوزراء ناقش خلال جلسته الأسبوعية برئاسة المهندس حسين عرنوس مشروع صك تشريعي بإعفاء القروض الممنوحة للطلاب من صندوق التسليف الطلابي من الرسوم والطوابع والبدلات المترتبة على منحها.

ووافق المجلس على رفع طبيعة العمل والحوافز والمكافآت للعاملين في الشركة العامة للمدفوعات الإلكترونية، ورفع قيمة التعويض الشهري لجرحى قوات الدفاع الشعبي المصابين بنسبة عجز ٧٠ و ٧٥ بالمئة إلى ٨٠ ألف ليرة سورية شهرياً.

كما وافق مجلس الوزراء على منح المنشآت غير الحاصلة على الترخيص الإداري إذناً بمزاولة نشاطها بشكل مؤقت لمدة سنتين بهدف استمرار عملها وتعزيز الإيرادات المالية للوحدات الإدارية وبما يسمح للمنشآت العاملة بالاستمرار في عملها وتقديم المنتجات والخدمات بما يراعي متطلبات المرحلة ويسهم بشكل فعال بدوران العجلة الإنتاجية في ظل الحرب الاقتصادية المفروضة على سورية.

وأكد المجلس على الوزارات دعم جهود فريق العمل المشكل لدى مصرف سورية المركزي والذي يضم مختصين من القطاعين العام والخاص والأجهزة الرقابية المعنية لمتابعة تطورات سوق الصرف وتقديم المقترحات اللازمة لاتخاذ الإجراءات المناسبة لمعالجة ذلك بالتوازي مع تشكيل فريق عمل لمتابعة منعكسات هذه الإجراءات على استقرار وتخفيض أسعار السلع الأساسية.

وجدد المهندس عرنوس التأكيد على الجهات المعنية فرض العقوبات الرادعة بحق المضاربين على الليرة واتخاذ أشد العقوبات وفق القانون بحق محتكري المواد الغذائية والمتاجرين بالمواد المدعومة مع الاستمرار ببذل أقصى الجهود وتقديم التسهيلات اللازمة لزيادة الإنتاج لتوفير المتطلبات اليومية للمواطن بأسعار وجودة مناسبين ومواصلة مكافحة الفساد والاختيار الدقيق للمفاصل الإدارية والكفوءة.

إلى ذلك شدد المجلس على ضرورة الالتزام بالإجراءات المتخذة للتصدي لوباء كورونا وتكثيف الجولات على المدارس للوقوف على واقعها الصحي وتأمين الوقود لسيارات الإسعاف والدفاع المدني لتكون في الخدمة بشكل مستمر وطلب من وزارتي الصحة والتعليم العالي تقديم مذكرة حول واقع أجهزة القثطرة القلبية والرنين المغناطيسي والطبقي المحوري والتأكد من وضعها بالخدمة وإجراء الصيانة اللازمة لها ودراسة نظام مكافآت وحوافز للعاملين عليها.

واستمع المجلس إلى عرض حول واقع الجريمة من حيث أعدادها وأنواعها والإجراءات المتخذة لمكافحتها والحد منها وأكد على تكثيف تسيير الدوريات الشرطية وتوفير متطلبات عملها لحماية المواطنين وأملاكهم.

كما استعرض المجلس ورقة عمل حول الإجراءات المتخذة لتأمين مادة سماد اليوريا والمعوقات التي تعترض تأمينها ومقترحات معالجة الموضوع وكلف وزارتي الزراعة والاقتصاد حصر احتياجات القطاع الزراعي من الأسمدة وإشراك القطاع الخاص في تأمين الكميات المطلوبة.

وأقر المجلس عدداً من المشروعات التي تسهم في تحسين الواقعين الخدمي والتنموي في عدد من المحافظات.

وفي تصريح للصحفيين عقب الجلسة بين وزير الإدارة المحلية والبيئة المهندس حسين مخلوف أن مجلس الوزراء وافق على مشروع قرار منح إذن مزاولة مهنة مؤقت من قبل الجهة المرجعية في منح الترخيص للمنشآت القائمة والمستثمرة والإنتاجية حصراً بمعزل عن الموقع والهدف تشجيع الصناعات الصغيرة والمتوسطة والحرفية المنتشرة بشكل كبير وتحفيز الإنتاج بكل أشكاله ومنح التسهيلات لذلك وتشجيع كل من ينتج ليكون عونا للاقتصاد الوطني في هذه المرحلة موضحا أنه شكل من أشكال تشجيع الطاقات الصغيرة للدفع نحو المشاريع التنموية الإنتاجية لكل الاختصاصات والقطاعات.

السماح لسيارات الركوب الصغيرة والمتوسطة بنقل الركاب

أقر مجلس الشعب السماح لسيارات الركوب الصغيرة «السياحية» والمتوسطة «الميكروباص» التي لا يزيد عدد ركابها عن عشرة ركاب عدا السائق والمسجلة في الفئة الخاصة بنقل الركاب وفق نظام التطبيق الإلكتروني لنقل الركاب وأصبح قانوناً.

ويشترط مشروع القانون الحصول على ترخيص من وزارة النقل بعد موافقة الهيئة الناظمة للاتصالات والبريد فيما تفرض على كل من يخالف أحكام نظام استخدام التطبيقات الالكترونية لنقل الركاب عقوبات تتراوح ما بين إيقاف الترخيص مؤقتاً أو نهائياً وذلك إضافة إلى العقوبات المنصوص عليها في قانون الاتصالات.

وتطبق وفقاً للمواد المذكورة أحكام قانون السير والمركبات النافذ وتعديلاته على كل ما لم يرد عليه نص في نظام استخدام التطبيقات الالكترونية لنقل الركاب الذي يصدر بقرار من مجلس الوزراء فيما يقوم وزير النقل بإصدار التعليمات التنفيذية لهذا القانون.

من جانبه أكد وزير النقل المهندس زهير خزيم أن مشروع القانون تم إعداده بسبب انتشار ظاهرة نقل الركاب بواسطة المركبات الخاصة بصورة مخالفة للأنظمة والقوانين الناظمة وهو يهدف إلى إيجاد حل لمشكلة نقل الركاب بدون زيادة في أعداد المركبات مع التخفيض النسبي من استهلاك الوقود من خلال استخدام المركبات الخاصة في نقل أكثر من شخص وتوفير خدمات نقل مميزة لهم.

كلمة البعث

هل يعزز الحزب أدبياته وتاريخه النضالي؟: مؤتمرات فروع البعث السنوية

د. عبد اللطيف عمران

تعاني في عالم اليوم الأحزاب السياسية جميعها في تحقيق أهدافها، وفي ضبط وسائل تحقيق هذه الأهداف، سواء أكانت هذه الأحزاب عقائدية أم براغماتية، تقليدية أم حديثة، وذلك في مشرق العالم ومغربه وفي وطننا العربي أيضاً، هناك معاناة للأحزاب التي نشأت في خضمّ حركة التحرر الوطني والاستقلال العربية، فقسم من هذه الأحزاب لفظ أنفاسه الأخيرة، وقسم في الطريق، وآخر يعمل على تجديد نفسه، مقابل انفجار في نشوء أحزاب جديدة مات أغلبها بعيد حصوله على الترخيص الرسمي، وعلى أشكال من الدعم لم تكن مستقرة. هذا يدفع إلى مزيد من الاهتمام بالظاهرة الحزبية، خاصة حين يكون الحزب حاجة تاريخية ومعنياً بالحفاظ على دوره في المجتمع والدولة بغض النظر عن تقييم هذه المقدرة وتقلباتها.

ولا شك في أن حزب البعث العربي الاشتراكي واحد من هذه الأحزاب التي تضاءل عددها اليوم، له خصوصيته وتميّزه في ماضيه وواقعه، باعتباره من أقدم الأحزاب العقائدية التي استطاعت أن تحافظ على حضورها في المجتمع والدولة - إلى حد ما - ولاتزال تطمح إلى تعزيز هذا الدور، بل إلى تطويره في مواجهة التحديات التي تجابهه وتجابه الشعب والوطن والأمة، ولذلك حريّ به أن يعتزّ بهذا، وأن يقرن هذا الاعتزاز بالمراجعة الدائمة، وبالاحتفاظ به، لكن لماذا؟:

١- نشأ حزب البعث نشأة متكاملة - غير كاملة - في أواخر النصف الأول من القرن الماضي في سياق تاريخ نضالي ضد قوى الاستغلال والاستبداد الداخلية والخارجية، كطليعة و(نخبة) في البداية، لكن سرعان ما انحاز إلى جماهير الكادحين، فخاضا سويّة معركة ضد التخلّف والرجعية والتجزئة والتطرف والتكفير، ومخلّفات الاستعماريين العثماني والغربي وضد الصهيونية. ولايزال البعث: نظرية وكوادر وجماهير يخوض المعركة نفسها في النصف الأول من هذا القرن، إذ: (يبدو أن المعركة مستمرة)، ذلك استلهاماً لما ختم حديثه به القائد المؤسس حافظ الأسد في حواره مع باترك سيل مؤلّف: الصراع على سورية.

٢- لم يكن هذا التاريخ النضالي من حيث سيرورته منفصلاً عن سردية تشكّل أدبياته وتطورها عبر الزمن، والتي لم تزل غير مكتملة، نظراً إلى أن إيديولوجيته لا تعرف الجمود ولا التقوقع والانعزال، ففهم البعثيين اليوم لمنطلقات البعث النظرية (وبالأحرى بعضها) يختلف عن فهم آبائهم وأجدادهم من حيث النظرية والممارسة، لذلك يجابه الحزب اليوم مفارقة تتمثل في أن قدرته في الحفاظ على وحدته التنظيمية هي أكبر بكثير من قدرته في الحفاظ على وحدته الفكرية، ولهذا أسباب يستحق الحديث فيها أن يكون واسعاً؟!.

٣- بيّنت مجريات المؤتمرات السنوية للمؤسسات البعثية ولا سيما تلك الجارية اليوم في فروع الحزب في المحافظات والجامعات أن هناك وعياً حزبياً (عفوياً) تشترك فيه الكوادر والقيادات، للفرق بين الحياة الحزبية (العقائدية) والحياة السياسية بأبعادها (الاقتصادية والاجتماعية)، هذا الوعي تحظى جرّاءه المؤسسات الحكومية بما لا تحظى به المؤسسات البعثية، مع العلم أن العلاقة بين المؤسستين في معركة اليوم عضوية، وليست جدلية على غرار ما كان في مراحل سبقت. ولهذا حافظت علاقة البعث بالسلطة - أمس واليوم وستحافظ هكذا - على إشكاليتها. وإن كانت اليوم أقل إشكالية إذ لاحظنا في أغلب هذه المؤتمرات أن البعثيين على قناعات متباينة من أن السلطة - الحكومة - لا تملك عصا سحرية - لكن هم بينهم وبين أنفسهم يقولون: عليها أن تملك هذه العصا بشكل ما. ذاك لأنهم مقتنعون أن معركة الحزب اليوم وطنية أكثر ممّا هي حزبية.

٤- يرى اليوم البعثيون أن مغادرة علاقتهم التقليدية بالسلطة - والتي لايزالون يطمحون إلى استعادتها - لم تنعكس إيجاباً على أداء السلطة، بل إن هذه المغادرة أضرّت بالحزب، وبالدولة، وبالمجتمع الذي ترى أطياف منه عكس ذلك، لكن هذه الرؤية تقترن بالعجز عن تقديم بدائل مجدية، وهي عند البعض تكاد تكون نوعاً من الشماتة، والنكران أيضاً. لذلك يقول اليوم كثير من البعثيين: انظروا الآن إلى أين ذهب الشارع !!. وفي حالة السجال القائمة الآن، يردّ الآخرون: بل أنتم الذين يجب أن تنظروا، وتتحملوا المسؤولية أيضاً.

لذلك يطغى حضور (السياسية) على (الحزبية) في مؤتمرات البعث، لكنه طغيان غير مؤذٍ، والحالة هذه.

٥- يبيّن الواقع الراهن أهميّة تمسك البعثيين بوحدتهم الفكرية التي كانت فيما مضى تقليداً، وعليها أن تكون اليوم ديناميَّة، فلطالما حذّروا من الغزو الثقافي، لكنهم اليوم مطالبون بالانتقال إلى مواجهة الغزو التقاني، وغزو التكنولوجيا الرقمية، وما يتصل بهذا مما توفّره وسائل التواصل الحديثة المتنوعة من تزييف وتضليل وتدمير للبُنى الوطنية الفوقية والتحتية. هذا الغزو الجديد الجارف يظن معه الكادر البعثي أن أي مكان تلمسه فيه يؤلمه، وأنه وحده الذي صار أقل منَعة تجاه التحشيد والاستهداف. وآية ذلك مثلاً ردود الأفعال المخاتلة والمستثمرة سلباً على ما نشرته صحيفة البعث من رأي دولي حول جناية نظام أردوغان على معيشة المواطن التركي، - ردود قاصرة - تقول: يعني حال السوري أفضل من حال التركي؟؟!!.

٦- أسفرت الحوارات والمقترحات والتوصيات وجلسات النقد والنقد الذاتي في مؤتمرات الفروع الجارية اليوم، وفي المؤتمرات السابقة للمؤسسات البعثية عن أن الحزب لايزال متمسكاً باقتدار بوحدته التنظيمية والفكرية، وعن أن البعثيين وجماهير حزبهم مع ظروف الواقع الصعب هم الآن أكثر إدراكاً لكون البعث حاجة وضرورة، وأكثر إيماناً بحزبهم ورموزهم ومؤسساتهم الوطنية وفي طليعتها تلاحم الجيش والشعب خلف قيادة الرفيق الأمين العام للحزب السيد الرئيس بشار الأسد، وهم يرون في هذا التلاحم وهذه القيادة أسس الصمود والتضحية، والانتصار أيضاً، لذلك ترى جماهير الشعب والحزب في نفسها القدرة الكافية على التغلب على مختلف الظروف القاسية اليوم

«سوبر ساركو».. إدانة ساركوزي بتهم الفساد تنهي الحياة المهنية لرجل أضر بفرنسا أكثر مما نفعها!!



"البعث الأسبوعية" ـ هيفاء علي

ـ أخيراً، أصدرت محكمة باريس الجنائية الحكم بالسجن مدة ثلاثة أعوام، اثنان منها مع وقف التنفيذ، بحق نيكولا ساركوزي، المتهم بالفساد واستغلال النفوذ، فيما يسمى قضية التنصت على المكالمات الهاتفية، أو قضية "بزموت". ويعتبر هذا الحكم الأول من نوعه في تاريخ الجمهورية الخامسة، وساركوزي هو ثاني رئيس دولة تدينه المحكمة بعد جاك شيراك الذي حكم عليه، عام ٢٠١١، بالسجن مدة عامين مع وقف التنفيذ بتهمة الاختلاس وخيانة الأمانة العامة في قضية "الوظائف الوهمية". ومن المقرر محاكمة ساركوزي مرة ثانية، في الفترة من ١٧ آذار إلى ١٥ نيسان، بشأن الإنفاق الزائد للحملة الانتخابية في عام ٢٠١٢، والتي كشفت عنها قضية بيغماليون.

هذا الرجل ليس فاسداً فحسب، بل هو محتال ومتسلق غدر بأقوى الداعمين له للوصول إلى مراتب السلطة، اذ لا يخفى على أحد كيف غدر بـ "معلمه" شيراك وطعنه في الظهر عام ١٩٩٥، عندما كان الأخير مرشحاً للانتخابات الرئاسية، وكان ينافس - آنذاك - إدوارد بالادور، رئيس الوزراء الأسبق الذي ينتمي، بدوره، إلى يمين الوسط، حيث كان شيراك متقدماً بفارق أولي في استطلاعات الرأي، لينشق ساركوزي ويقدم الدعم لبالادور، قبل أن يكتشف أنه راهن على الحصان الخطأ، فقد فاز شيراك في تلك الانتخابات، ودفع ساركوزي الثمن بقضاء السنوات السبع التالية بدون أي منصب حكومي. مع ذلك، لم يتوقف عن المحاولة، حيث أسفرت تقرباته عن عقد صفقات "ذكية" آلت في نهاية المطاف إلى تعيينه وزيراً خلال فترة ولاية شيراك الثانية ولكنه سرعان ما عاد إلى حياكة المؤامرات عند تسلمه حقيبة الداخلية، وبدأ التحريض على رئيسه للتخلي عن فكرة الترشح لولاية ثالثة. وبالفعل، لم يرشح شيراك نفسه مرة أخرى، وزيادة على ذلك دعم حملة ساركوزي عام ٢٠٠٧. ولكن مرة واحدة كانت كافية فقد صوت شيراك، عام ٢٠١٢، لفرانسوا هولاند، الخصم الاشتراكي لساركوزي.

ورغم حدة الخلاف بينهما، فإن شيراك وساركوزي هما الرئيسان الفرنسيان الوحيدان اللذان أدينا بارتكاب جرائم سياسية بعد الحرب العالمية الثانية. ووفقاً للمعلومات التي تم الحصول عليها أساساً من التنصت على المكالمات الهاتفية، فإن ساركوزي كان يلمح إلى احتمال حصوله على منصب رفيع أمام قاضٍ رفيع المستوى، على أمل أن يتلقى في المقابل معلومات سرية تتعلق بقضية فساد أخرى مرفوعة ضده. هذا الحكم أبطل أفضل فرصة لساركوزي بالعودة إلى السلطة، فبعد إعلان الحكم، استبعد علناً خوض سباق آخر، في عام ٢٠٢٢.

كقوة أساسية في السياسة الفرنسية، ربما يكون الرجل، الذي كان يُطلق عليه ذات مرة "سوبر ساركو"، قد قابل حجر الكريستال المشع، حجر الحظ، ولكن حتى لو غادر ساركوزي الساحة السياسية، فإنها لا تزال تحمل بصماته الواضحة في انقسام اليمين، والشعور المستمر بانعدام الأمن الاقتصادي، ما يرسخ فكرة التأثير الدائم لحقبته في السلطة. ولفهم سبب ذلك، لا ضير من المقارنة برئاسة شيراك مرة أخرى، حيث قام ساركوزي بحملة ضد إرث سلفه، مثله مثل خصمه الاشتراكي، وانتقد الحكم اليميني السابق، ووصفه بأنه خامل، قانع بالوضع الراهن الراكد، وخائف من زعزعة القارب. فكان نهجه هو العكس تماماً: كل النشاط والطاقة والحركة. لكن ساركوزي كان - ولا يزال - مجرد ردة فعل بسيطة للماضي، كما أن الثقة بالنفس التي لا تخمد، والتي غذت صعوده، تؤسس أيضاً إطاراً لفهم العالم وكما قال في مقابلة كاشفة، في عام ٢٠٠٧، رداً على سؤال حول بداية حياته السياسية، واعتماده على نفسه، كما يزعم: "كان علي القتال طوال حياتي، لم يأت شيء بسهولة بالنسبة لي. لم يفتح أحد أي باب لي على الإطلاق، لقد اعتدت على ذلك، وهذا هو المفتاح لأي شخص".

يتناغم هذا النوع من التساؤلات بشكل مثالي مع الاقتصاد النيوليبرالي: إذا كانت الحياة تنافسية بشكل غير قابل للاختزال، فإن السوق هو الحكم المنطقي للنتائج، وكما قال ساركوزي: عليك أن تحب النجاح، وعرقلة هذه العملية الطبيعية ستكون من الحماقة في أي ظرف من الظروف. أما بالنسبة لبلد متوسط الحجم في عالم صعب، فقد يكون قاتلاً. لذلك رأى ساركوزي أن الاقتصاد الفرنسي، بإدمانه على التدخل الحكومي، وأحكام الرفاهية السخية، والإنتاجية المنخفضة، بحاجة ماسة إلى التصحيح.

كان الأمر لعنة على اليسار، لكنه كان أيضاً خروجاً عن التفكير الاقتصادي السائد لليمين الفرنسي الذي أقر في عهد ديغول بالحاجة إلى دولة تدخلية كبيرة. كان لرفض ساركوزي هذا الإجماع عواقب دائمة، ذلك أن القرارات السياسة التي اتخذها، مثل مضاعفة ساعات أسبوع العمل البالغة ٣٥ ساعة، ورفع سن التقاعد، لم تفعل شيئاً يذكر لتحسين الأداء الاقتصادي الفرنسي، ولكنها أدت كثيراً إلى إفقار الطبقة العاملة التي رأت كيف أنها باتت مهددة جراء تآكل شبكة التأمين الخاصة بها، مع دفع الركود الكبير بأرقام البطالة إلى مستويات عالية جديدة؛ وهو ما دفع الناخبين إلى بدائل يسارية، وساعد أيضاً في كسر دعم ساركوزي لليمين، ما أدى إلى تأليب النيوليبراليين على النمط الأنغلو أمريكي ضد الديغوليين والمحافظين من الطبقة العاملة الذين سيجدون طريقهم بشكل متزايد إلى مارين لوبن، أي نحو الجبهة الوطنية.

من جهة أخرى، كان ساركوزي شديد الإعجاب بأمريكا في بلد غير مرتاح لسياسة "القطب الواحد"، ومن هنا جاء لقبه "ساركو أمريكا". وقد ترجم هذا الإعجاب إلى السياسة على الرغم من أن نهج ساركوزي الأطلسي أصبح غير عادي بحلول منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، إلا أنه لم يكن بدون سابقة في هذا السياق، ذكر الصحفي الراحل جان لاكوتور في كتابه الذي تناول فيه سيرة شارل ديغول حلماً يؤطر بدقة الخيارات التي يواجهها رجال الدولة الفرنسيون دائماً بشأن هذه القضية:

حلمت بإجراء مناقشة بين أعظم اثنين فرنسيين في تلك الفترة، جان مونيه والجنرال ديغول. قال الأول للآخر: "سيدي الجنرال، أنت لا تعامل الأمريكيين بشكل لائق، ترفع صوتك، تعطيهم الأوامر. أنا أعاملهم بلطف وأستفيد منهم بشكل أكبر نتيجة لذلك". أجاب ديغول: "لا تخدع نفسك يا مونيه! ما أحصل عليه له قيمة أكبر بكثير مما تحصل عليه أنت!".

والواضح أن ساركوزي حذا حذو جان مونيه وانحنى بحماس إلى النهج اللطيف، أغدق المديح والثناء للولايات المتحدة، وسعى إلى تعميق العلاقات الثنائية التي شهدت برودا في عهد شيراك، عقب معارضته بشدة الغزو الأمريكي للعراق. وبعد أكثر من أربعة عقود خارج الناتو، أعاد فرنسا إلى البنية القيادية الموحدة لحلف شمال الأطلسي. وفي ليبيا، ألزم القوات الفرنسية بتدخل غير مدروس وغير شرعي على الطريقة الأمريكية للإطاحة بالعقيد القذافي فكانت نتائج هذه السياسات المتخبطة كارثية بكل معنى الكلمة: فرنسا ذات استقلال استراتيجي أقل، ونفوذ دولي أقل، وانعدام الاستقرار في الجوار.

إن الإخفاقات والعثرات التي حدثت في زمن ساركوزي في السلطة جعلته يكون أول رئيس فرنسي يخسر محاولة إعادة انتخابه منذ أكثر من ثلاثين عاماً. وقد خلفه فرانسوا هولاند، الذي، على الرغم من أنه يدين بفوزه إلى التصور الشائع بأنه "الرجل العادي" بعد الديناميكية المدمرة لسلفه، إلا أنه بدوره غادر المنصب. ولكن الرئيس التالي لفرنسا هو الذي سيظهر أنه تعلم حقاً من مثال" الرئيس الخارق" من بعض النواحي. كان ماكرون أعظم تلميذ لساركوزي. هنا، على سبيل المثال، يقول ساركوزي قبل انتخابات ٢٠٠٧، متوقعاً تجاوز ماكرون للحزب: فرنسا بلدي هي فرنسا لجميع أولئك الذين لا يعرفون أساساً ما إذا كانوا يساراً أم يميناً أم وسطاً، لأنهم قبل كل شيء هم الشعب الفرنسي الكريم". وعلى غرار ساركوزي، أدرك ماكرون جاذبية طاقة الشباب وحيويتهم، لا سيما عندما تم عرض هذه السمات من خلال استراتيجية إعلامية بارعة. وفي الملفات لتي كانت مواقف ساركوزي فيها أكثر شيوعاً مثل القانون والنظام، والقيم الثقافية - يميل ماكرون إلى اتخاذ خط الحس السليم نفسه.

لكن ماكرون يتفوق على ساركوزي في المكر والدهاء ويتمتع بالبراعة ويعرف متى يتوقف. ومع ذلك، فشل في احتواء حركة السترات الصفراء التي انطلقت احتجاجا على زيادة ضريبة الوقود، بل فوق ذلك أطلق العنان لرجال الشرطة لقمع المحتجين بطريقة وحشية. ماكرون أناني بلا شك، لكنه من ذلك النوع الذي يلتزم بأعلى المعايير، وليس الذي يمكن أن يبرر احترامه لذاته أي شيء.

الحقيقة المطلقة بشأن قناعة ساركوزي هي أنها لا تتغير إلا قليلاً، وحتى لو كان في وضع يسمح له بتحمل معايير يمين الوسط في عام ٢٠٢٢، فإن آفاقه، في سباق ضد ماكرون ولوبن وميلانشون، وأي شخص يرشحه الاشتراكيون، لن تكون واعدة. وبدلاً من ذلك، فإن الحكم الذي سيصدر لاحقاً ينذر بدقة بحقبة ساعد فيها ساركوزي على تشكيل معالم الساحة السياسية الفرنسية.

ربما يكون ساركوزي قد اتخذ قرارات خاطئة في أهم القضايا التي تواجه بلاده، لكنه على الأقل اتخذها بوقاحة وأسلوب. بالمحصلة ربما كان معلم ساركوزي السابق، جاك شيراك، هو الذي لخصه بشكل أفضل في مذكراته: "أحد أكثر الموهوبين في جيله، لكنه "عصبي، متهور، يغمره الطموح، ولا يشك بأي شيء، على الأقل بنفسه".

أربعائيات

«القمة» الأولى بين بوتين وبايدن

د. مهدي دخل الله

قبل أيام حصلت أول «قمة» من نوعها بين الرئيسين الروسي والأمريكي . هي قمة جدالية عبر التصريحات التي أثارت فضول الرأي العام العالمي .

بدأ بايدن مساره السياسي نافخاً في بوق التصعيد على مستوى العلاقات الدولية . وهو في ذلك يعبر عن التزامه بتقاليد الحزب الديمقراطي وأسلوب هذا الحزب في السياسة الدولية.

كانت أولى القضايا التي تحدث بايدن عنها أكرانيا والقرم، أي أنه لكز موسكو في خاصرتها الجريحة في محاولة لإيلامها . ووصل الحد بالرئيس الأمريكي إلى وصف الرئيس الروسي بتعابير لا يمكن سماعها إلا من المشردين السكيرين على أرصفة العاصمة واشنطُن ، وعددهم كبير ، وليس من رئيس دولة عظمى مسؤولة عن أفعالها وألفاظ رؤسائها .

ردة فعل موسكو كانت سريعة لكنها حافظت على مستوى لائق من التعابير الحضارية . لعل ما قاله بوتين رداً على وصفه «بالقاتل» من قبل بايدن هو درس حضاري وأخلاقي بكل معنى الكلمة ولا علاقة له بالمواقف السياسية .

في بداية تعليقه تمنى الرئيس الروسي لزميله الأمريكي (هكذا وصفه) دوام الصحة والسعادة وقال أنه لا يسخر ولا يمزح وإنما هي تمنيات حقيقية . ثم ذكّر زميله الأمريكي بأن الروس يتمتعون برموز وجينات أخلاقية وثقافية تمنعهم من استخدام التعابير البذيئة . قال بوتين أن من يستخدم مثل هذه الألفاظ يبدو وكأنه ينظر إلى مرآة أمامه . ولقد كرر بوتين هذا المعنى بتعابير متعددة . ولعل القرّاء يذكرون المثل الشهير عندنا (كل إناء ينضح بما فيه) . لكن الرئيس الروسي ذكّر (زميله الأمريكي) بأن أمريكا وليست روسيا هي التي أبادت ملايين المدنيين بالقنابل النووية في هيروشيما وناغازاكي ، وشدد بوتين أن هذا حصل دون أي مبرر عسكري ـ فقط لإبادة الملايين لأن اليابان كانت قد استسلمت . ثم جاءت الرسالة القوية في نهاية تعليقه المؤدب والقوي حيث قال أن روسيا ستتعامل معهم فيما يهمها لكن عليهم ـ وهنا الرسالة القوية ـ أن «يحسبوا حسابنا» أي أن يعترفوا بقوتنا.

هذا من الناحية الجدالية ـ أما من الناحية العملية - وهي الأهم - فقد جاءت في التصريح الواضح لوزير الخارجية الروسي لافروف أمس الأول وهو يستعد للسفر إلى الصين . قال الوزير أن على روسيا والصين وغيرها من الدول استخدام العملات الوطنية في التسويات المالية المتبادلة بدلاً من الدولار بما يعزز «الاستقلال التقني» لهذه الدول .

ومعروف أن الاستقلال التقني ، أي الاستقلال في آليات التبادل التجاري وغيره ، مستند الاستقلال السياسي . وقد بدأ مشروع التوجه نحو اتفاقيات الدفع المتبادل وإنشاء بنك متخصص قبل سنوات أثناء قمة جوهانسبورغ لمجموعة دول البريكس .

لعل وقاحة بايدن واستخدامه للكلمات البذيئة تنعكس حماسة في هذا المجال ـ فتكون وقاحة «مفيدة» للعالم .

mahdidakhlala@gmail.com.

نتنياهو يكرس هيمنته على اليمين والحكومة

"البعث الأسبوعية"
ـ محمد نادر العمري

حتى قبيل انطلاق العملية الانتخابية الرابعة من نوعها، خلال سنتين، ومعرفة ما تكشف عنها من نتائج، كانت الأحاديث تدور عن إمكانية التوجه إلى انتخابات خامسة، وذلك مع عودة التوقعات والمؤشرات بعدم قدرة بنيامين نتنياهو على نيل أغلبية مريحة تمكنه من تشكيل حكومة برئاسته، على الرغم من نجاحه في تهشيم قوة خصومه أثناء الفترة السابقة، وقدرته على احتواء تأثير الانقسام الذي حصل في حزب الليكود؛ وبذلك، يمكن القول إن السيناريوهات الأكثر قلقا وتخوفا لنتنياهو باتت وراءه، من خلال بقائه على رأس هرم معسكر اليمين، وهو ما سيكرس ظاهرة هيمنته على الحياة السياسية لفترات طويلة مقبلة.

تبلورت أبرز سمات الانتخابات الأربعة السابقة في أن التنافس الرئيسي تمحور حول شخص نتنياهو، بين من يؤيده رئيسا للحكومة وبين من هو ضده؛ وعلى هامش هذا التنافس توزعت الانقسامات والتحالفات التقليدية ولكنها كانت متسارعة ومؤثرة، وتجلى ذلك في عدة أمثلة من بينها أن جدعون ساعر، الذي انشق عن حزب الليكود، وشكل حزب "أمل جديد"، كان هدفه إسقاط نتنياهو، وأن مشكلة زعيم حزب "إسرائيل بيتنا"، أفيغدور ليبرمان، مع أي حكومة يمينية تتمثّل في كون نتنياهو رئيسها (إضافة إلى خلافه مع الأحزاب الدينية المنتمية للطائفة الحريدية)، وأن التكتل، الذي تشكل في الانتخابات السابقة باسم "أزرق أبيض" وتجمعت أحزابه المتباعدة والمتنافسة تحت شعار إسقاط نتنياهو، تصدع وبات يحتاج لمن ينقذه، وأن رئيس كتلة "يمينا"، نفتالي بينت، سعى هو الآخر إلى إسقاط نتنياهو (من دون أن ينفي ذلك إمكانية الالتحاق به لاحقا) على قاعدة الحصول على مزايا حكومية مقابل الدخول في ائتلاف داعم لبقاء الحكومة تحت هيمنة نتنياهو.

في المقابل، نجح رئيس الوزراء الحالي في أن يقنع شرائح واسعة من اليمين بوجود ارتباط عضوي بين بقائه في رئاسة الحكومة وبين استمرار حكم اليمين، محولا بذلك قضيته الشخصية إلى قضية تيار فكري سياسي.

ورغم حصول الانتخابات وسط بيئة إقليمية ودولية تشهد تطورات لها أثرها المباشر على مجمل الوضع في المنطقة، بما فيها كيان العدو، إلا أن العامل الداخلي يبقى الأكثر تأثيرا في توجهات الناخب الإسرائيلي، بالنظر إلى عدة عوامل على رأسها التداعيات التي خلفها انتشار جائحة كورونا على المستويَين الصحي والاقتصادي، ووجود انقسام جدي حول أهلية نتنياهو المتهم بالفساد والرشوى للاستمرار في الحكم، وارتفاع وتيرة التصريحات السياسية الرافضة لبقائه، والتي كان آخرها مقال لرئيس حكومة الاحتلال السابق، ايهود أولمرت، حذر فيه من خطورة بقاء نتنياهو رئيسا للحكومة على "أمن" الكيان.

إلا أن نتنياهو حقق أكثر من إنجاز في مرحلة ما قبل يوم الانتخابات، إذ استطاع توحيد قوى دينية متطرفة تفاديا لخسارة عشرات آلاف الأصوات التي أمل أن تعزز فرصه في تشكيل الحكومة، كما نجح في تحويل ائتلاف "أزرق أبيض" إلى أشلاء، والأمر نفسه انسحب على "القائمة العربية المشتركة" التي انقسمت إلى كتلتين، وهذان الطرفان تظهر استطلاعات الرأي تراجع تمثيلهما في "الكنيست" المقبل؛ أما الإنجاز الأهم الذي نجح رهان نتنياهو على مفاعيله لدى الناخبين، فتمثل في نجاح خطته لتلقيح أكثر من ٤,٢ مليون شخص بجرعتين، يضاف إليهم أكثر من مليون تلقوا جرعة واحدة ونتيجة ذلك، استمر المنحى التراجعي في نسبة النتائج الموجبة إلى مجمل الفحوصات، حتى وصل إلى حد ١,٩٪، وتعهد نتنياهو بأن أول قرار ستتخذه الحكومة المقبلة، إذا ألفها، سيكون إقرار رزمة مساعدات للمصالح التجارية بمبلغ ١٥ مليار شيكل، وهو ما منح زعيم الليكود الدعم في حملته الانتخابية من جانب، ومن جانب آخر سعيه المستمر لتغطية تهم الفساد الموجهة إليه وفي إطار الهدف ذاته، استعان نتنياهو أيضا باتفاقات التطبيع التي أبرمها مع عدد من الدول العربية، ملوحا بعمليات تطبيع لاحقة مع دول أخرى من ضمنها السعودية، وثلاث دول أخرى جاهزة للتوقيع، وفتح خط طيران مباشر بين تل أبيب ومكة.

فضلا عن استمرار تقديم نفسه على أنه الأكثر قدرة من منافسيه في إدارة الصراع مع تهديد محور المقاومة الذي تقوده إيران، وهي السمة الثانية التي باتت تظهر في المشهد السياسي لحملة انتخابات الكنيست الرابعة والعشرين، حيث يمكن اعتبارها أقل إثارة وأكثر تعقيدا من الحملات الثلاث السابقة، بسبب انعدام وجود شخصية مركزية تقود تكتلا موحدا ضمن قائمة انتخابية واحدة تنافس نتنياهو، وتطرح نفسها بديلا حقيقيا قادرا على الفوز والتفوق عليه، كما حدث في الجولات السابقة، عندما قاد غانتس قائمة "أزرق أبيض" التي توحد خلالها كل من حزب "هناك مستقبل" بقيادة يائير لبيد، وحزب "تيلم" بقيادة بوجي يعلون، إضافة إلى حزب "أزرق أبيض" بقيادة غانتس وغابي أشكنازي .

كما أن ما ميز حملة الانتخابات الحالية هو غياب تنافس ثنائية المعسكرات الإيديولوجية الثنائية القطبية التي كانت تتمثل باليسار والوسط من جهة، ضد اليمين من جهة أخرى وهو ما رجح كفة نتنياهو، واعتباره - وفق آخر استطلاع للرأي قبل ثلاثة أيام من الانتخابات - الشخصية الأنسب لرئاسة الحكومة، فقد صوت ٣٦٪ لمصلحة نتنياهو، و١٩٪ لرئيس حزب "هناك مستقبل" يائير لابيد، و١٣٪ لجدعون ساعر، و١٢٪ لزعيم حزب "يمينا" نفتالي بينت إذا يمكن القول إن سيناريو تشكيل حكومة برئاسة أحد منافسي نتنياهو، وبالاستناد إلى الأصوات العربية في "الكنيست"، مستبعد جدا، وبخاصة أن ذلك كان ممكنا بعد الجولات الانتخابية الثلاث الماضية، إلا أن أحداً من خصوم نتنياهو لم يجرؤ على المضي في هذا الخيار، على الرغم من اتخاذهم خطوات "جس نبض" حول ذلك، ترجمت إلى واقع عملي بعد تكليف زعيم حزب "أرزق أبيض"، بعد الانتخابات الثالثة، رسميا، وقبل إنجاز الانتخابات الرابعة، ولكن لم تنجح هذه المحاولات في توحيد القوائم رغم أن الهدف والشعار المشترك لمعظم الأحزاب كان "إسقاط نتنياهو".

وبالتالي، تتراوح السيناريوهات المحتملة بين حكومة يترأّسها نتنياهو، أو استمرار الشلل والتعطيل المتبادل، وصولا إلى التدحرج نحو انتخابات خامسة، ولاسيما أنه حتى الآن هناك جزءا كبيرا من جمهور معسكر اليمين والتيار الحريدي لا يزال يلتف حول نتنياهو، الأمر الذي يوفر له الغطاء الشعبي والسياسي إما لتعطيل التأليف أو للتفاوض من موقع من يملي الشروط.

أوكرانيا.. بايدن العجوز عازم على خوض المعركة

"البعث الأسبوعية"
ـ المحررة السياسية



في مواجهة صعود التعددية القطبية، يعيش الأمريكيون حالة من الذعر بعدما علموا أن رئيسهم العجوز عازم على خوض معركة ضارية، وقد اختار أوكرانيا، رأس جسر الناتو، لتنظيم عدوانه على روسيا، وتايوان لاستفزاز الصين الحرب تختمر. لكن أليس التهديد والوعيد هما من سمات الضعيف؟

تفيد آخر المعلومات أن كييف تعمل ومنذ عدة أيام على تعزيز خطها الأمامي في شرق أوكرانيا ضد دونباس، التي يريد الرئيس الأوكراني، دمية واشنطن، إعادتها بالقوة إلى حظيرة أوكرانيا. يتم استقدام ونقل الدبابات والأسلحة من مختلف القطعات العسكرية في قطارات بالقرب من المنطقة الموالية لروسيا، وغالباً إلى المناطق السكنية تسارعت عمليات القصف على الأحياء المدنية في دونباس، المدفعية الأوكرانية تعدل نيرانها، طائرات بدون طيار تحلق فوق البلاد لتحديد الأهداف المحتملة، ويتم تنفيذ العديد من عمليات التوغل لاختبار يقظة الحلفاء. يبدو أن كل شيء جاهز لبدء هجوم واسع النطاق من قبل القوات الأوكرانية في الأيام المقبلة.

لكن كييف لا تستطيع الدخول في مثل هذه المعركة وحدها، ولا تستطيع مواجهة دونباس المدعومة من روسيا، لسبب بسيط هو أن فلاديمير بوتين يعلم جيداً أنه إذا تم الاستيلاء على دونباس، فسوف ياتي دور شبه جزيرة القرم ومن المحتمل ألا يكون الرد الروسي طويلاً، ومن المرجح أن يكون قاتلاً لأوكرانيا الفاسدة حتى العظم مع رئيسها المهرج، لذلك تنتظر أوكرانيا الضوء الأخضر والدعم الإيديولوجي واللوجستي من سيدها الأمريكي وأتباعه الأوروبيين لبدء الهجوم.

الناتو جاهز للعدوان..

في هذا الوقت، قام بايدن العجوز بشن هجوم عنيف على الرئيس الروسي، بوتين، وهو بذلك لا يختلف عن كل أسلافه الذين لم يجلب أحد منهم السلام للعالم؛ بل على العكس، أطلقوا الحروب، أو شاركوا بها، أو عملوا على تأجيج النزاعات المسلحة للحفاظ على هيمنتهم على العالم، وفشلوا في جميع مبادئ الدبلوماسية الدولية المتحضرة. عقب هذا الهجوم، استدعت روسيا على الفور سفيرها في واشنطن للتشاور، فيما ترك بايدن، اليانكي الذي يرتدي القبعة الخضراء لوكالة الاستخبارات المركزية، العالم مذهولاً، على مرأى من وسائل الإعلام العالمية.

وبحسب مراقبين، فإن هذا الاستفزاز كان محسوباً بعناية بعدما خسرت الولايات المتحدة في سورية، وفيما يوشك نظامها الإمبريالي على الإفلاس، فهذا النظام قائم فقط على الاستغلال المخزي لشعبه، وعلى الهيمنة على مناطق أخرى من العالم، ونهبها، دون الأخذ بالحسبان تزايد مشاعر الكراهية وسلوك نهج المقاومة للسياسات الأمريكية في العالم إذ يبدو الآن أن روسيا والصين تشكلان عقبتين جديتين أمام توسيع النفوذ الأمريكي خاصة وأن الصين في طريقها لأن تصبح القوة الاقتصادية والمالية الرائدة في العالم، إضافة إلى أنها تعمل على تحديث جيشها وقدراتها العسكرية الحالية، بحيث تقود الولايات المتحدة إلى الكف عن الغطرسة. وها هي الولايات المتحدة تفقد أعصابها بدون حجج مقنعة، بعدما شعرت أن هيمنتها باتت مهددة، لذلك تحرض وتهدد وتتوعد كما لو أنها لا تعرف القيام بأي شيء آخر. إنها تبرهن مرة أخرى على أنها بلد خطير للغاية بالنسبة للشعوب وللسلام في العالم، منذ إنشائها وحتى يومنا هذا، حيث تأسست على واحدة من أفظع الإبادات الجماعية في التاريخ.

اختار بايدن وصقوره مهاجمة روسيا على حدود أوروبا التابعة، مستخدمين أوكرانيا التي يعتبرونها بالفعل جزءاً من الناتو بعد سيطرتهم السياسية عليها، والتي يتهم قادتها الحاليون روسيا بتسهيل الانفصال وتنظيم إعادة توحيد شبه جزيرة القرم مع روسيا. ويبدو أن هناك مكاسب غير متوقعة يرنو إليها الاستراتيجيون الأمريكيون، لأنهم يظنون أنه إذا هاجمت القوات الأوكرانية منطقة دونباس فإن روسيا لن تتدخل، وبالتالي سيكون خطر الانفصال الدبلوماسي الطويل مع أوروبا أكبر مما ينبغي. فلماذا لم تشن كييف هجومها الكبير قبل هذا التوقيت؟ حتما، لأنها تعلم علم اليقين أن روسيا لن تتخلى عن دونباس لمصير رهيب؛ وكما قال بوتين، مراراً وتكراراً: طالما أن روسيا لا تملك أي ضمانات بأن أوكرانيا لن تصبح معقلاً أوروبيا على أعتابها، وطالما أن توسع الناتو نحو الشرق لن يتوقف، فلن تتخلى عن دونباس.

وهنا يتساءل مراقبون عما إذا كان لدى بايدن كل الأوراق بالفعل لوضع تهديداته موضع التنفيذ؟ خاصة وأن الجميع يعلمون أن الإهانة والتهديد من سمات الضعفاء؛ إذ يرجح أن تصطدم طموحاته الإمبريالية بمقاومة هائلة، وقد يعاني من انتكاسات لا يشك فيها، فالكثير من رؤيته للعالم أحادية الجانب، وعماه الاشكالي وتصوره للعلاقات مع الدول الأخرى خالٍ من كل احترام وإنسانية. ومع هذه الجعجعة والضجيج منَ الغرب إلى الغرب، يصر بايدن على وضع بلاده في فئة الشعوب البربرية. وهكذا تبقى أمريكا، بالنسبة لشعوب الكوكب الأخرى، أخطر كيان في العالم، والأخطر على التعايش السلمي، خاصة وأنها لم ولن تتردد في استخدام القنابل النووية لتحقيق مآربها.

هذا الرجل والمجمع العسكري الصناعي الذي يرشده، بدعم من أوروبا المستعبدة، قادران على استفزاز الصين بشكل خطير حول تايوان على وجه الخصوص، والتي أصبح رئيسها الجديد، التابع لواشنطن، ميالاً إلى "الاستقلال" فجأة، وعلى بدء حرب على حدود أوروبا، "بعيداً عن الوطن" مرة أخرى، بغض النظر عن عدد الضحايا، بهدف عزل روسيا من خلال تطويقها بالقواعد العسكرية الأطلسية على حدودها، وخنقها اقتصادياً، مع محاولة تدمير خط أنابيب الغاز "نورد ستريم ٢" الذي سيربط روسيا بألمانيا. هذه الإيماءات غير المقبولة - والغرض الوحيد منها إحكام السيطرة على العالم - يمكن أن تولد حريقاً سيؤدي إلى اندلاع حريق في العالم في غضون أسابيع قليلة، وعليه، فإن جنون واشنطن للحرب هو السرطان الحقيقي لهذا الكوكب.

سوف يتذكر الجميع أن فلاديمير بوتين قال في ندوة دولية أنه في مرحلة دراسته الابتدائية في سان بطرسبرغ تعلم أنه عندما يصبح واضحا أن العدو على وشك أن يضربك، فمن الأفضل أن تضرب أولاً. وقد تُرجم هذا في الأيام الأخيرة في العديد من الخدمات الفيدرالية إلى "خارطة طريق" واضحة جداً: إذا لزم الأمر، كن مستعداً للضربة أولاً.

ويبدو أن قادة الولايات المتحدة لا يعرفون ذلك بعد، لكنهم خسروا بالفعل، وسوف يتعين عليهم أن يقبلوا ظهور التعددية القطبية في وقت أقرب مما هو معتقد. التنوع أمر حتمي وضروري، لذلك يجب على الشعوب أن تغتنم هذه الفرصة العظيمة لتحرير نفسها وبناء حقبة جديدة حيث احترام الاختلافات والثقافات والتعاون بين مختلف الأطراف.

«العد التنازلي».. ماذا سيحل بالجنس البشري في غضون السنوات القليلة القادمة؟

«البعث الأسبوعية»
ـ ترجمة وإعداد: سمر سامي السمارة

لم يعد خافياً على أحد أن بيل غيتس والمدافعين عن أجندة «التنمية المستدامة ٢٠٣٠» التي أقرتها لأمم المتحدة، هم أيضاً المروجون المخلصون لعلم تحسين النسل البشري. واليوم، تظهر أبحاث جادة أن «الزراعة العلمية الحديثة» التي تنتشر من خلال الاستخدام الانتقائي للمواد الكيميائية الزراعية السامة، والمبيدات الحشرية التي تعتبر آمنة وغير آمنة، تشكل واحدة من أكثر الطرائق فعالية لتخفيض التعداد السكاني. وبحسب كتاب» العد التنازلي» الذي صدر حديثاً لعالمة الأوبئة البيئية والإنجابية في كلية إيكان الطبية في نيويورك، شانا سوان، فإن الخصوبة الذكرية في الدول الصناعية الغربية، بما في ذلك الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، تنخفض بمعدلات خطيرة، وتقدر سوان أن متوسط الخصوبة، خلال العقود الأربعة الماضية، انخفض بنسبة ٥٠٪، أو أكثر. بعبارة أخرى، فإن الشاب الذي يسعى اليوم إلى تكوين أسرة لديه نصف فرص الإنجاب التي كان يتمتع بها أجداده.

وتشير تقديرات سوان إلى أنه، ما لم يتم تغيير التعرض للمواد الكيميائية السمية في الزراعة والبيئة بشكل جذري، فقد تتقلص القدرة على التكاثر بشكل طبيعي لفترة أطول. وبحلول عام ٢٠٥٠، سيحتاج معظم البشر في البلدان الصناعية، بما في ذلك الصين، إلى تكنولوجية للإنجاب بمساعدة طبية.

يعرض الكتاب تفاصيل إضافية لدراسة علمية شاركت فيها المؤلفة، عام ٢٠١٧. وكانت سوان تناولت بالتحليل المتأني ما مجموعه ٢٤٤ تقديراً لتركيز وإجمالي الخصوبة، من ١٨٥ دراسة على ٤٢٩٣٥ رجلاً ممن قدموا عينات من السائل المنوي، ما بين عامي ١٩٧٣ و٢٠١١.

في الحقيقة، كانت النتيجة مقلقة للغاية، ومع ذلك، باستثناء بعض عناوين وسائل الإعلام، لم تحدث العواقب الناجمة أي تغييرات، حيث ضغطت شركات المواد الكيمائية الزراعية الهائلة، كـ «باير»، و«مونستانو»، و«سينجنتا»، و«دوبونت» على المنظمين لتجاهل النتائج.

وجدت سوان أن «من بين الدراسات الغربية غير المنتقاة، انخفض متوسط تركيز الحيوانات المنوية بمعدل ٤,١٪ سنوياً، مع انخفاض إجمالي بنسبة ٥٢,٤٪ بين عامي ١٩٧٣ و٢٠١١». أي أن الخصوبة انخفضت بنسبة ٥٩٪ لدى الرجال الذين تم اختيارهم بشكل عشوائي لفحص خصوبتهم، في أمريكا الشمالية وأوروبا وأستراليا ونيوزيلندا، كما هي مستمرة في الانخفاض عاماً بعد عام.

ومن الجدير بالذكر أن انعدام الدعم الجاد للدراسات الجديدة تسبب بمحدودية البيانات التي يجري تحديثها. ووفقاً لإحدى الدراسات، استوفى أكثر من نصف المتبرعين المحتملين بالحيوانات المنوية في مقاطعة هونان، في الصين، قبل خمسة عشر عاماً، معايير الجودة، أما الآن فإن ١٨٪ فقط يستوفون هذه المعايير، وهو انخفاض يُعزى إلى المواد الكيميائية المسببة لاضطرابات الغدد الصماء، كما سجل باحثون في تايوان انخفاضاً مماثلاً في الخصوبة، ونتيجة مماثلة في دول أخرى. وخلصت سوان إلى أن «الصحة الإنجابية للذكور، في مأزق، الأمر الذي ينطوي على عواقب تتجاوز القدرة على الإنجاب، بل تؤثر أيضاً على صحة الرجل».

How Our Modern World Is
Threatening Sperm Counts,
Altering Male and Female
Reproductive Development,
and Imperiling the Future
of the Human Race
COUNT DOWN
Shanna Swan, PhD
with Stacey Colino

اضطرابات الغدد الصماء

تعتقد سوان أن السبب يعود للتعرض الهائل للمواد الكيميائية السمية التي تم استخدامها بكثرة في العقود الأخيرة، خاصة المعروفة باسم «المواد المسببة لاختلال الغدد الصماء»، أو مشوشات الهرمونات الصماوية. وتشير إلى «المواد الكيميائية التي تجعل المواد البلاستيكية لينة، مثل الفثالات، أو المواد الكيميائية التي تجعل البلاستيك صلباً مثل البيسفينول، أو المواد الكيميائية التي تعمل على تثبيط اللهب، والمواد الكيميائية الموجودة في التفلون، وكثير من مبيدات الآفات». وهنا، لابد لنا من الإشارة إلى أن المبيدات هي المجموعة التي يجب أن تُدق أجراس الإنذار بخصوصها، إذ تبين بالأدلة أنها تصل إلى المياه الجوفية والسلسلة الغذائية البشرية. وتحتوي مبيدات الأعشاب الضارة، التي تُباع تحت الاسم التجاري «راوند آب»، وهي أكثر مبيدات الآفات استخداماً في العالم، على مادة مسرطنة محتملة هي الغليفوسات، والآزاترين، وتصنعها شركة «سينجينتا» التي تملكها اليوم شركة «كيم تشينا».

آثار الأترازين

في العام ٢٠١٠، أجرى تايرن هايز، عالم الأحياء الأمريكي، وأستاذ علم الأحياء التكاملي غي جامعة كاليفورنيا، بيركلي، بحثاً حول تأثير تعرض الضفادع لمبيد الأعشاب أترازين، ووجد أن مبيدات الآفات التي تُستخدم على نطاق واسع في محاصيل الذرة وقصب السكر، في الولايات المتحدة، هي إحدى عوامل اختلال الغدد الصماء التي تزيل الذكورة عن الضفادع الذكور وتؤنثها، وقال أن «ذكور الضفادع تفتقر إلى هرمون التستوستيرون، وكافة الأشياء التي يتحكم بها التستوستيرون، بما في ذلك الحيوانات المنوية، مضيفاً أن أغلب الأدلة تظهر أن الأترازين يشكل خطراً على الحياة البرية وصحة البشر».

فالأترازين مادة كيميائية تتداخل مع عمل أنظمة الغدد الصماء، وتسبب الاختلال بها، كما أنها ثاني أكثر مبيدات الأعشاب استخداماً في الولايات المتحدة بعد منتج الغليفوسات «راوند آب»، لـ «مونسانتو».

وعلى الرغم من الأدلة، فقد اتخذت وكالة حماية البيئة الأمريكية، في العام ٢٠٠٧، قراراً مثيراً للجدل ينص على أن «الأترازين لا يؤثر سلباً على التطور الجنسي للبرمائيات، ولا يوجد ما يبرر إجراء اختبارات إضافية». وهنا، لابد من الإشارة إلى أن الاتحاد الأوروبي حظر، في العام ٢٠٠٤، الأترازين قائلاً إن شركة «سينجينتا» فشلت في إثبات سلامته في مياه الشرب.

كما أن مبيد الأعشاب الضارة غليفوسات، «راوند آب»، والذي يتسبب باختلال الغدد الصماء، هو المبيد الأكثر استخداماً في العالم، إذ تستخدمه أكثر من ١٤٠ دولة، بما فيها روسيا والصين. وقد تفجر استخدامه بشكل كبير في السنوات الأخيرة على المحاصيل المعدلة وراثياً في الولايات المتحدة، مثل الذرة وفول الصويا اللذين يشكلان ٩٠٪ من الذرة والفول الأمريكيين وبين عامي ١٩٩٦ و٢٠١٧، عندما قامت شركة «مونسانتو» بترخيص الذرة وفول الصويا المعدلين وراثياً في الولايات المتحدة، ازداد تعرض الأمريكيين للمادة الكيميائية بنسبة ٥٠٠٪، إذ ثبت وجوده في مياه الشرب، والحبوب في المتاجر، وفي بول النساء الحوامل، ما يعني أن جميع اللحوم والدواجن تقريباً مشبعة بالغليفوسات من علف الحيوانات.

ووجدت دراسة حديثة أجراها باحثون من جامعة فليندرز في أستراليا أن منتج «راوند آب» قتل الخلايا التي تنتج هرمون البروجسترون لدى النساء، ما أدى إلى انخفاض مستوياته. وقد تم ربط الغليفوسات و«راوند آب» بالعيوب الخلقية ومشاكل الإنجاب وأمراض الكبد، وقد ثبت أن لهما القدرة على إلحاق الضرر بالحمض النووي للحبل السري البشري، وخلايا المشيمة والجنين».

وفي العام ٢٠١٥، فحص علماء من نيجيريا الآثار المشتركة الناتجة عن التعرض لكل من الغليفوسات والأترازين على الفئران، فوجدوا أن هذا المزيج كان الأسوأ لجهة تأثيره على الحيوانات المنوية، وتركيبة التستوستيرون والأجهزة التناسلية للذكور.

وفي العام ٢٠١٦، اشترت شركة الكيماويات الصينية العملاقة المملوكة للدولة «تشيم تشاينا» شركة» سينجنتا» السويسرية للبذور والمبيدات، مقابل ٤٣ مليار دولار. وفي ذلك الوقت، كانت «تشيم تشاينا» تملك حقوق التوزيع في الصين، ودول آسيوية أخرى، لمنتج شركة «مونسانتو» الأمريكية «دروند آب» أيضاً؛ هذا وتدرج «تشيم تشاينا»، على موقعها الإلكتروني، الأترازين ضمن مبيدات الأعشاب التي تبيعها، واصفة إياه بـ «مبيد أعشاب آمن وفعال لحقول الذرة». إضافة إلى ذلك، تشيم تشاينا» هي المنتج الرئيسي للغليفوسات لسوق الزراعة الصينية.

وتواجه الصين اليوم أزمة زراعية كبيرة، وتكافح لإيجاد سبل لضمان الأمن الغذائي. وتشير التقارير إلى أن زيادة دور المحاصيل الكائنات المعدلة وراثياً، مع براءات الاختراع الصينية، سشكل جزءاً جوهرياً من خطة خمسية جديدة، ما يعني بلا شك استخدام الغليفوسات والأترازين. وفي الوقت نفسه، تشعر الدولة بالقلق على نحو متزايد حيال انخفاض معدل المواليد الذي لم يتحسن على الرغم من التخفيف من سياسة الطفل الواحد.

مع استخدام المزارعين الصينيين لكميات كبيرة من مبيدات الآفات الكيميائية، بما في ذلك الغليفوسات والأترازين لتحسين الإنتاجية، فإنهم يسعون إلى تركيبة كارثية لن تحل أزمة الغذاء المتزايدة قط، بل وقد تدمر القدرة الإنجابية لعدد كبير من سكان الأرياف في الصين، والبالغ عددهم ٨٩٠ مليوناً، فضلاً عن الملايين من سكان المدن.

هل من المسموح استخدام هذه الكيماويات الزراعية وغي رها من المواد الخطرة التي تسبب اضطراب الغدد الصماء، بسبب تجاهل المسؤولين لتأثيرها الخطر على التكاثر البشري؟ وهل هي موجودة فقط بسبب جشع الشركات لتحقيق أرباح مفرطة؟

لفهم ما يجري، لابد من الاقتباس من مذكرة الأمن القومي (NSSM٢٠٠) التي كتبها هنري كيسنجر، سنة ١٩٧٤، والتي حملت عنوان «علم تحسين النسل»، وتبناها الرئيس الأمريكي جيرالد فورد كـ «سياسة أمريكية رسمية»، ومن اقتباس لـ بيل غيتس.

يقول كسنجر: «ينبغي أن يكون الحد من التعداد السكاني هو الأولوية القصوى للسياسة الخارجية تجاه العالم الثالث، لأن الاقتصاد الأمريكي سيتطلب كميات كبيرة ومتزايدة من المعادن من الخارج، وخاصة من البلدان النامية».

والاقتباس من بيل غيتس: «يضم العالم اليوم ٦,٨ مليار شخص. ومتجه ليصبح تعداده ٩ مليارات. يمكننا، إذا قمنا بعمل ناجح في مجال اللقاحات والرعاية الصحية وخدمات الصحة الإنجابية، خفض ذلك العدد بنسبة قد تتراوح بين ١٠ إلى ١٥ في المائة».

الشعبوية الأوروبية في صعود.. مرة أخرى؟

«البعث الأسبوعية» ـ عناية ناصر

بعد هزيمة الرئيس السابق دونالد ترامب في الانتخابات، أعلنت وسائل الإعلام التقليدية أن الشعبوية قد ماتت ودُفنت، ولن يتم إحياؤها على نطاق واسع مرة أخرى. لكن، هل كان انتصار ترامب والبريكست هما ما أشعل نيران الحركات الشعبوية؟ على الرغم من أن بقية أوروبا رفضت بشكل أساسي الشخصيات والأحزاب التي دافعت عن سياسات مماثلة مناهضة للمؤسسات، ومعادية للهجرة، في عام ٢٠١٧، فقد يعطي الناخبون هذه القوى نفسها فرصة ثانية الآن، بعد أن أحبط «الخبراء» عشرات الملايين من الناس في عصر الجائحة هذا، فمن فرنسا إلى البرتغال إلى هولندا، قد ترتفع الموجة الشعبوية مرة أخرى!!

لوبن الأقوى

الرئيس إيمانويل ماكرون ليس الرجل الأكثر شعبية في فرنسا في الوقت الحالي؛ ووفقاً لعشرات استطلاعات الرأي، منذ تموز ٢٠٢٠، تجاوزت نسبة معارضي الرئيس الفرنسي ٥٠٪ بشكل روتيني، مع إشارة أحدث مجموعة من الاستطلاعات إلى تجاوز نسبة المعارضين ٦٠٪، فهل يمكن لذلك أن يشير إلى سقوطه في الانتخابات الرئاسية العام المقبل؟

يمكن أن تكون حالة لوبن أقوى من السيف. تقترب مارين لوبن، رئيسة حزب التجمع الوطني، ظاهرياً من ماكرون في استطلاعات الرأي. وفقاً لآخر استطلاع أجراه معهد «هاريس انتراكتيف» عبر الإنترنت، فإنه إذا تم إجراء منافسة رئاسية نهائية اليوم، فإن لوبن ستحصل على ٤٨٪ من الأصوات، مقارنة بـ ٥٢٪ لماكرون؛ وفي حين أن ذلك يمنح ماكرون تقدماً بسيطاً في إعادة انتخابه، إلا أنه يمثل أضيق هامش تم تسجيله؛ ويبدو أن لوبن تطلق حملتها الانتخابية مقترحة إجراءات جديدة، بما في ذلك حظر الحجاب في جميع الأماكن العامة. وفي حديثها للصحفيين اقترحت لوبن حظر «الإيديولوجيات الإسلامية» التي أشارت إليها على أنها «شمولية وقاتلة».

ولكن في حين فشل هذا النوع من الموقف في دفع لوبن إلى قصر الإليزيه، في العام ٢٠١٧، فإن إحباط الجمهور من تعامل ماكرون مع جائحة فيروس كورونا والانتعاش الاقتصادي السيئ قد يدفع المزيد من الناخبين إلى الإدلاء بأصواتهم في غضون ١٥ شهرا. ومع ذلك، يمكن أن يتغير الكثير خلال العام المقبل، ولكن إذا كانت هناك اتجاهات أخرى تشير إلى أمر ما، فهو أن الشعبوية تعود في فرنسا.

المحطة التالية.. إيطاليا؟

استقال رئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي مؤخراً بعد أكثر من عامين من الفوضى السياسية وسط حكومة ائتلافية هشة. استقال كونتي بعد أن سحب ماتيو رينزي حزبه الصغير «إيطاليا فيفا» من التحالف الهش، على الرغم من أن حركة الخمس نجوم الشعبوية«M5S» ، والحزب الديمقراطي يسار الوسط «PD» متمسكان برئيس الوزراء المنتهية ولايته. ومع ذلك، أدى خروج سالفيني إلى إدارة كونتي للحكومة بأغلبية ضئيلة، ولا يعد هذا في السياسة الإيطالية ضماناً لسن السياسات. فهل كان هذا انتصاراً للشعبوية إشارة إلى ما سيحدث في المستقبل؟! ليس تماماً، وفقاً لاستطلاعات الرأي، والتي سجلت رغبة ٤٥٪ من الناخبين الإيطاليين في بقاء كونتي في منصبه، و٢٦٪ فقط يؤيدون إجراء انتخابات جديدة. ويواجه سالفيني حالياً المحاكمة بسبب تهم إساءة استخدام سلطته بمنع سفينة لاجئين من الرسو، في العام ٢٠١٩، عندما كان وزيراً للداخلية؛ لكن سالفيني لم يعتذر، حيث اعتبر تلك الاتهامات بمثابة وسام شرف، وقال للصحافة بعد جلسة استماع مغلقة: «أنا مرتاح تماماً وفخور بما قمت به. أنا آسف فقط على تكلفة الإجراء الذي يتحمله دافعو الضرائب الإيطاليون ووقت القاضي الذي ضيعته».

صعود الشعبوية البرتغالية

في الشهر الماضي، أعيد انتخاب الرئيس البرتغالي مارسيلو ريبيلو دي سوزا بأغلبية ساحقة، حيث حصل على ٦١٪ من الأصوات. وعلى الرغم من فوزه، فإن العديد من المحللين السياسيين يركزون اهتمامهم على أندريه فينتورا، وهو سياسي يميني شعبوي حصل على ١٢٪ من الأصوات. وعلى الرغم من حكم لشبونة من قبل ائتلاف يمين الوسط مع حزب اشتراكي في مقعد المعارضة، يقول الخبراء أن هذا التوازن قد يتغير قبل الانتخابات البرلمانية المقبلة في غضون عامين وسط صعود فينتورا، الذي برز كصوت متنام في السياسة، منذ عام ٢٠١٧، حيث دعا إلى تقليل الهجرة والمزيد من القانون والنظام، وبعد انسحابه من الحزب الاشتراكي الديمقراطي من يمين الوسط، شكل حزبه الشعبوي المسمى شيغا «كفى».

تشير مجلة فورين بوليسي إلى أن «البرتغاليين لديهم مستوى أعلى من عدم الثقة في ديمقراطيتهم من معظم السكان»، مضيفة: هذا السخط يمكن أن يغذي نوعاً فريداً من الشعبوية اليمينية المتطرفة في البرتغال التي لا تعتمد بشكل أساسي على المشاعر المعادية للمهاجرين، ففي بلد قامت فيه الحكومة بتوسيع وتشديد عمليات الإغلاق ووسط توقعات بأن يتراجع الاقتصاد أكثر من ذلك، يمكن لمرشح مناهض للمؤسسة أن يجذب الجمهور».

وفي هولندا جو فيلدرز

لم يصبح خيرت فيلدرز، رئيس «حزب الحرية»، زعيماً سياسياً كما توقع البعض في انتخابات ٢٠١٧، على الرغم من حصوله على ثاني أكبر عدد من المقاعد البرلمانية. ومع ذلك، في أعقاب فضيحة رعاية الأطفال في عهد رئيس الوزراء مارك راتل، وتصاعد المرارة بسبب عمليات الإغلاق بسبب كورونا، هل يمكن أن ينجح فيلدرز في الربيع عندما يذهب ملايين المواطنين إلى صناديق الاقتراع؟ تشير أحدث بيانات الاستطلاع إلى أن تشكيل الحكومة سيبدو نسبياً كما هو الآن. وفي الواقع، يمكن لحزب «الشعب من أجل الحرية والديمقراطية» «VVD» البناء على عدد مقاعده، على الرغم من الكارثة السياسية المعلقة على رأس الحزب.

وكذلك في الولايات المتحدة قد تكون خسارة الرئيس ترامب مجرد البداية. وإذا كانت الشائعات صحيحة، فقد تكون الترامبية قوة لا يستهان بها لسنوات قادمة متمثلة بحزب «باتريوت». وبينما حذر المحافظون من العواقب السياسية طويلة المدى لحزب جمهوري ممزق من شأنه أن يمنح الديمقراطيين السيطرة لسنوات عديدة قادمة، فإن شعار «اجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى» لا يتلاشى. لقد سارت الروح نفسها في المياه الراكدة، وتسللت إلى شريحة معينة من جمهور الناخبين الذين شعروا بالتخلي عن الركب والإهانة من قبل القوى الدولية التي استرضت أسيادهم العالميين في بروكسل، فهل سينتقل هذا الغضب في النهاية إلى فوز انتخابي؟

أقطاب الحكومة تراهن على قفزات متتالية في الإنتاجية الصناعية الموجهة للتصدير

"البعث الأسبوعية" ـ علي بلال قاسم

لأن لكفاءة إدارة الجمارك ومعها الإجراءات الجمركية ومستوى الخدمات المقدمة مؤشر ودلالة لا يمكن تحييدها في التعاطي مع أجندة التجارة الخارجية "الموجوعة" في زمن الحرب ومفاعيل الحصار والعقوبات، فإن الحديث عن أداء "حتى ولو كان افتراضياً" يعد ضرباً من جلد الذات لقطاع أصابته حمى العزلة، فوصلت العدوى كافة مناحي ومواقع الإنتاج والعمل، بعدما انعكس إغلاق المعابر الحدودية مع دول الجوار في ارتفاع تكاليف النقل بكافة أنواعه بشكل عام، ليتم الاعتماد على النقل البحري ذو الكلفة الأعلى والزمن الأطول وخصوصاً في ظل غياب الخطوط المنتظمة من وإلى المرافئ السورية.

ومع ذلك، من المعروف أن هناك محدودية في أسواق التصدير المتاحة في ظل ظروف الأزمة الحالية والعقوبات الاقتصادية المفروضة، على الرغم من أن بعض أنواع المنتجات السورية ما زال مرغوباً في الأسواق الخارجية ولو بشق الأنفس. ولهذا يأتي اقتراح وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية على الحكومة بتبسيط الإجراءات من حيث النافذة الواحدة "الالكترونية" للتصدير، في إطار خطة عمل باتجاه إنجاز إضبارة أتمتة عمل مديريات التجارة الخارجية بهدف تنظيم وإدارة ملفاتها في جزئيتها المتعلقة بعمليات الاستيراد ومنح الموافقات عبر تأسيس لنظام النافذة الواحدة، إذ يمكن أيضاً تطبيق ذات الآلية تجاه عمليات التصدير، وهي الأكثر بساطة وتتمثل أهداف تطبيق النافذة الواحدة، عبر توفير عدد من الخدمات للتجار والحكومة، مثل جمع المعلومات عن الوثائق والتراخيص المطلوبة والحصول على الاستثمارات واستيفاء البيانات المطلوبة ودفع الرسوم عن طريق الانترنت والإعلان عن الصادرات وإعداد التقارير المتعلقة بتأكيد صحة التراخيص وتبادل البيانات والمعلومات الجمركية مع الأنظمة الأخرى الخارجية والمشاركة في النافذة الواحدة ومراقبة مسار الشحنات وتعقبها.

إدارة العملية

وحسب رؤية الاقتصاد - التي تلقت "البعث الأسبوعية" بعضاً من ملامحها - يمكن للحكومة أن تتبنى أحد نماذج الخدمات مع القوانين والأنظمة، بحيث يمكن التوسع بها تدريجياً بما يسمح للشركاء الاستراتيجيين المعنيين بالانضمام إلى النافذة لإدارة العملية التصديرية وتحقيق أهداف من قبيل تقليص عدد الوثائق والمدة اللازمة لإنجازها والحد من تكاليف المعاملات التجارية وتعزيز الشفافية والضوابط الإدارية وجمع وتبويب البيانات والمعلومات المتعلقة بالتصدير وإفساح المجال لتطوير نظم حديثة لإدارة الخدمات اللوجستية وتسهيل التواصل مع شبكات التجارة وأنظمة نقل وتبادل المعلومات مع البلدان، ويمكن البدء بتشغيل النظام بشكل تجريبي في مديرية اقتصاد محافظة دمشق أولاً، ليصار إلى تعميمه في نقاط أخرى على مستوى المحافظات، مع التأكيد على أهمية تلبية المتطلبات التالية تحديد الجهة المسؤولة عن إدارة وتشغيل النافذة ودعم قانوني لتنفيذ نظام النافذة الواحدة والبنى الأساسية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والربط الشبكي مع الجهات المعنية وتحديد الشركاء المعنيين في إدارة وتشغيل نظام النافذة الواحدة ودور كل منها.

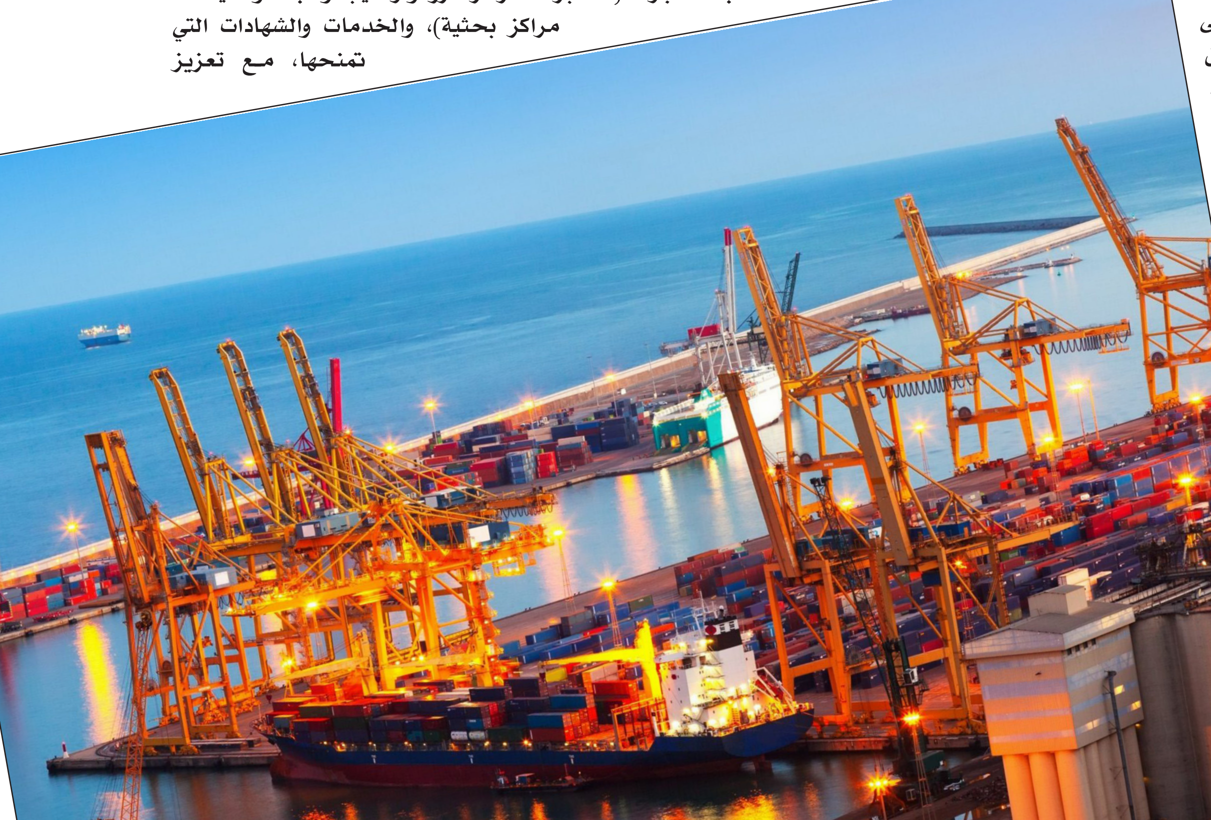
ولضمان كفاية الأنظمة والسياسات والأطر لدعم جودة المنتج السوري ترى المقترحات والتوصيات الوزارية أنه لابد من البنى التحتية الداعمة لجودة المنتج السوري من خلال إحداث نظام الرقابة على الصادرات والاستمرار بالعمل على تفعيل عمل اللجان المشكلة بالقرار رقم ٥٨٩ تاريخ ٢١/ ٧/ ٢٠١٦، لتقوم بمراقبة الفرز والتوضيب بشكل دوري ومراقبة جودة الصادرات، مع إحداث شركة الرقابة على الصادرات على المدى الطويل مع تفعيل دور المخابر العاملة في قياس جودة المنتج السوري وتشجيعها على الحصول على اعتمادية منح شهادة الجودة الدولية ومع تشجيع القطاع العام والخاص على إنشاء مؤسسات خاصة بعملية ضبط الجودة ومراقبتها.

تخفيض تكاليف

وهنا، لا يخفي أكاديميون وخبراء مراقبون غيرتهم على زيادة الوعي بأهمية ثقافة الجودة من خلال تخفيض تكاليف الحصول على شهادة المطابقة التي تتضمن كل التكاليف الوقائية لضمان منتجات بلا عيوب، وتدريب وتأهيل الكوادر العاملة في المؤسسات المختصة بمراقبة الجودة، والتأسيس لنظام اعتمادي معترف به دولياً يعنى بمراعاة الشروط الواجب توافرها لمنتجات التصدير بدءاً من مرحلة الإنتاج إلى تسويق المنتج.

وبالتالي، لا بد من وضع برامج تثقيفية للمنتجين (المصدرين) حول أهمية الالتزام بالجودة وتطبيق المعايير الدولية وتحديد المواصفات القياسية لكافة الصادرات السورية، بما يتوافق مع أدلة ومعايير التصدير المعتمدة لدى الأسواق المستهدفة وتفعيل التعاون الدولي (الاتفاقات الدولية) في مجال تقييم المطابقة، والتي تساعد على تشجيع التجارة البينية مع الشركاء التجاريين.

وفي مضمار كهذا، يكثر الحديث عن إنشاء قاعدة بيانات حول الجهات العاملة في ضبط الجودة (مخابر - مراكز فرز وتوضيب وتعبئة وتغليف — مراكز بحثية)، والخدمات والشهادات التي تمنحها، مع تعزيز



كفاءة العملية التسويقية للصادرات من خلال الجانب اللوجستي وذلك بوضع خطط لتفعيل خطوط النقل (بري - بحري - جوي)، والعمل على إيجاد خطوط نقل بحرية منتظمة مع الدول المستهدفة ومعالجة الحالات الطارئة وتفعيل إدارة وتشغيل المرافىء الوطنية وتطوير الإمكانيات المتاحة فيها لتقوم بتقديم الخدمات اللازمة لدعم العملية التصديرية وجمع المعلومات والبيانات حول أسطول النقل الداخلي والخارجي، وتحديثها بشكل مستمر، ووضع الآليات للاستفادة منها بالشكل الأمثل، وإحداث مكاتب التمثيل التجاري في سفارات الدول المستهدفة لتقديم المعلومات حول أسواق هذه الدول، وتوجيه المشروعات لهذه الأسواق وبناء قاعدة بيانات تتضمن معلومات عن الأسواق الخارجية والمعارض الدولية وأسعار المنتجات المنافسة والمشاركة في المعارض الدولية المتخصصة في البلدان التي تعتبر فرصاً هامة للصادرات الوطنية وإعداد الدراسات عن الأسواق الدولية ومتطلبات الولوج إليها والتعاقد مع شركات تسويق عالمية تعمل على التعريف بالمنتج السوري والاستفادة من شبكة علاقاتها في هذا الإطار وتشجيع إنشاء مراكز تجارية أو مستودعات للمنتجات السورية في الدول المستهدفة.

استمزاجاً وسبراً

وتقول المعلومات التي خرجت من أروقة الوزارة أن ثمة استمزاجاً وسبراً للكثير من الأفكار وأوراق العمل من قبل مختصين يأملون ببرامج دعم وتمويل التصدير، على اعتبار أن من الضروري العمل على وضع عدد من البرامج على المدى القصير والمتوسط والطويل والتي تستجيب لاحتياجات المنتج — المصدّر- وتحقيق أهداف زيادة الصادرات بما يسمح لها بأن تلعب دورها الايجابي المنشود في التنمية من خلال برامج دعم تكاليف الشحن للدول المستهدفة وفق منهجية تأخذ طبيعة المنتجات والبلدان التي يتم التصدير إليها ووسيلة الشحن المستخدمة، إضافة إلى برامج تطوير نظم التحفيز الضريبي للصناعات التصديرية بالتعاون مع الجهات المعنية وإعطاء مزايا تفضيلية للقطاعات المستهدفة في كل مرحلة من مراحل تنمية الصادرات ومساندة المشروعات الصغيرة والمتوسطة من خلال اختيار عدد من السلع المتميزة من القطاعات ذات الأولوية وتقديم دعم فني لها لتطوير إنتاجها وإعداده للتصدير وإنشاء مؤسسة لضمان الصادرات على المدى الطويل.

ومن البرامج المطروحة خفض تكاليف المداخلات الصناعية وتحسين مستوى المنافسة، حيث يعاني القطاع الصناعي من مشاكل جوهرية أعاقت نموه وأدت إلى تدني الإنتاجية فيه، الأمر الذي ينعكس بشكل مباشر على تدني القدرة التنافسية للمنتجات الصناعية السورية في الأسواق المحلية والخارجية على حد سواء، وبرنامج دعم جودة المنتجات الوطنية، إذ تبين أوراق العمل أنها تعبّر عن الفرق بين المنتج الفعلية وتكلفة المنتج المنخفضة التي يمكن أن تحدث إذا لم يكن هناك إمكانية لحدوث خدمات مطابقة وفشل في المنتجات ووحدات معيبة في التصنيع أو بمعنى آخر التكاليف المتعلقة بكل من الوصول وعدم القدرة على الوصول إلى مستوى الجودة المطلوب لكل من المنتجات والخدمات ويمكن رؤيتها كتكاليف الوقاية من مشاكل الجودة وقياس ورقابة مستويات الجودة والتفتيش على مستويات الجودة أو الفشل في الوصول إلى مستويات الجودة المطلوبة ويشمل البرنامج دعم تكاليف المواءمة (المطابقة) والذي يتضمن كل التكاليف الوقائية لضمان منتجات بلا عيوب.

ولا بد - وفق المبرمجين - من إنشاء علاقة تكاملية مع السياسات القطاعية، حيث أن عمل الجهات المعنية على وضع وتنفيذ السياسات القطاعية، التي تنمّي الإنتاج ونوعيته لمختلف الأنشطة الاقتصادية، يجب أن يتناغم مع السياسة الموضوعية لتنمية الصادرات السورية، حيث يتم العمل على ثلاثة محاور رئيسية من خلال تحقيق معدل نمو أعلى في الصادرات من خلال تنميتها واجتذاب الاستثمار الأجنبي المباشر بوصفهما أداة لتعميق اندماج سورية في الاقتصاد الإقليمي والعالمي، وتعتبر هذه مرحلة أولى يتوجب تنفيذها في الأجل القصير ويتمثل هدفها الأساسي في زيادة الصادرات والعمالة للقطاعات ذات الأولوية التصديرية وسيكون التركيز فيها على دعم ما يوجد الآن من صناعات تعتمد على الموارد الطبيعية والتكنولوجيا المنخفضة المستوى(أي على الصادرات الكثيفة العمالة).

طرح متقدم

بالعموم، هناك رهان من قبل أقطاب الحكومة المعنيين بملف التصدير على تحقيق قفزات متتالية في الإنتاجية الصناعية الموجهة للتصدير من خلال مجموعة من السياسات والبرامج المصممة بعناية بغية الارتقاء بالقدرة التنافسية لصادرات السورية، وتعتبر هذه مرحلة ثانية متوسطة الأجل (مرحلة الصادرات متوسطة التكنولوجيا) يكون هدفها تعزيز كفاءة الصادرات بإقامة المؤسسات اللازمة للتصنيع عالي الجودة، بالإضافة إلى تحسين المكون التكنولوجي للصادرات من خلال الانتقال إلى مرحلة التصنيع المعتمدة على التكنولوجيا المتوسطة، وبالتالي إنجاز تحول تدريجي في هيكل الصادرات السورية ينتقل به من الأنشطة القائمة على استخدام الموارد الطبيعية ثم إلى التكنولوجيا المتوسطة، وأخيراً إلى الصادرات عالية التكنولوجيا، وتلك هي مرحلة ثالثة (مرحلة الصادرات عالية التكنولوجيا) يجري تنفيذها في الأجل الطويل، ويكون الهدف منها بناء القدرة الابتكارية، وهي المرحلة التي يعتمد فيها الإنتاج والصادرات على التكنولوجيا المتقدمة.

وهنا قد يكون الطرح متقدماً جداً وفي غير أوانه - وفق البعض - ولكن لا ضير بأن يكون "المخ الاقتصادي الحكومي" في سياق وسباق الاشتغال على المدى التصديري الأقصى الذي يضع المستقبل في أيد أمينة، حتى ولو كان الحاضر الاقتصادي صعباً ولا يبرر القفز إلى الأمد البعيد.

النحاسيات مهددة بالانقراض

"البعث الأسبوعية" ـ عبد الرحمن جاويش

شكلت دمشق عبر العصور بصناعاتها اليدوية الكثيرة والمتنوعة سوقاً تجارياً كبيراً لهذه الصناعات في منطقتها والعالم، فكانت تقصدها القوافل التجارية من كل أصقاع الأرض للتبضع من صناعة حرفييها، وعلى الأخص الصناعات النحاسية، وتعتبر حرفة صناعة النحاس في تاريخ دمشق أحد مكونات الشخصية الدمشقية من خلال الورش الكثيرة التي كانت تعمل بهذه المهنة، والتي كانت منتشرة في عدة أسواق من دمشق، وأكثرها شهرة سوق النحاسين في شارع الملك فيصل، حيث كانت أيدي الحرفيين تصنع الأواني النحاسية المتنوعة التي يحتاجها المجتمع الدمشقي والمجتمعات المحيطة مثل ريف دمشق والمنطقة الجنوبية عموماً.

وكان النحاسون منذ قرنين من الزمن يستوردون صفائح النحاس من أوروبا ويقومون بطرقها في مشاغلهم ليكوّنوا منها أواني متنوعة في الشكل والوظيفة ويتفننون في تصميمها وجماليتها وإدخال النقوش والزخارف عليها مع تلبيسها بالفضة أحياناً لتأخذ رونق التحفة الفنية البديعة والباقية عبر الزمن.

يقول أبو زهير، العامل السابق في مهنة صناعة النحاس منذ أكثر من أربعين عاماً، إن أكثر ما أثر على صناعة النحاس دخول الآلات الصناعية أواخر الأربعينيات، ما أفقد الحرفة الكثير من جمالية العمل اليدوي وقلص عدد العاملين فيها فيما بعد. ويضيف إن الكثير من رفاق مهنته اضطروا لتغييرها خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات بسبب كساد منتجاتهم وضيق سبل عيشهم منها، فلم تعد الحرفة تورث من جيل إلى جيل كما كانت العادة مع الكثير من المهن الدمشقية التي اضمحلت أو أهملت أو انقرضت، وأوضح أبو زهير أن اختلاف عادات المجتمعات في دمشق وما حولها، من حيث الإقبال على الأواني النحاسية واستخدامها في الحياة اليومية، في أعمال الطهي والغسيل، واقتنائها كأوان منزلية، أو كقطع زينة وتحف فنية، والاستعاضة عنها بالأواني البلاستيكية والألمنيوم والستانلس وسواها، أثر على ازدهار هذه المهنة وجعلها مهنة تراثية سياحية أكثر منها ملبية لحاجات يومية. وأشار إلى أن تغير طبيعة صناعة النحاس جعلها تغير أشكال منتجاتها لتتوافق مع أذواق زبائنها الجدد من السياح الأجانب والعرب، بالإضافة إلى المترفين الراغبين باقتنائها كأعمال تراثية ديكورية وتزيينيه فقط.

ويشير الحرفي أسامة اللحام، الذي ورث النحاسة عن والده، إلى أن تنوع المنتجات النحاسية كان ينتج عنه تخصص الحرفيين في أشكال وأنواع محددة من المشغولات، فهناك من يصنعون مصبات القهوة ومطاحن البن ومجامر الفحم والشمعدانات، وغيرهم يعملون على صناعة القدور والصواني، وآخرون في أدوات زينة الخيول والعربات والمتممات التزيينية. ويقول أسامة إن النحاس يخلط في أغلب الأحيان مع غيره من المعادن للتمكن من صناعة أشكال وأدوات معينة، فصناعة الأجراس والصنوج والآلات الموسيقية النحاسية - مثلاً - تحتاج لخلط النحاس بمقادير من القصدير، وفي غيرها من الأدوات يخلط النحاس مع الرصاص.

ويوضح أبو معتز، المتهن للرسم والزخرفة على النحاس منذ خمسين عاما، أن مهنته تحتاج للكثير من الذوق والدقة والصبر والتأني، مبيناً أن المواد الأولية المستخدمة في الرسم على النحاس هي صفائح النحاس الأحمر والأصفر التي تتراوح سماكتها ما بين ٧ و٨ دوزيم، وحتى ٥,١ مم. وبين أن حرفة الرسم والنقش على النحاس تعتمد على فن الزخرفة، إلى جانب تجسيد بعض المعارك الهامة في التاريخ ورسم الشخصيات التاريخية المهمة، مضيفاً إن هذه المهنة تتفرع أيضاً لعدة فروع بحيث يقوم كل حرفي بجزء من العمل لسرعة التنفيذ ودقة الإنجاز.

ويوضح محمد الخطيب، رئيس اتحاد الحرفيين بريف دمشق، أن حرفة صناعة النحاس مهنة كبيرة تتشعب فيها الاختصاصات ضمن الورشة الواحدة، فهناك الرسام الذي يخط الزخرفة والنقوش، وهناك الحفار والنقاش والمفضض، أي الذي يقوم بتنزيل معدن الفضة على الآنية النحاسية، وهناك حرفيو الكبس، وحرفيو التخريق، وكلها ترتبط بحلقة ينتج عنها في النهاية عمل فني جميل، كما أن هذه المهنة ترتبط بغيرها من المهن مثل حرفة صب وسكب النحاس، أي صهر النحاس وسكبه في قوالب لها أشكال محددة، وهي النواة الأساسية لصناعة النحاس إلى جانب مهن الخراطة والنشر والثقب والتسوية وصناعة القوالب الخشبية والرسم المهني وغيرها، وهذه المهن - رغم انقراضها نوعاً ما - نحاول في الاتحاد إعادة أنشطتها، وذلك من خلال تنشيط الحرفيين وبناء القرية الحرفية ليتمكنوا من إعادة ألق الحرفة المميزة، بالإضافة إلى تقديم الدعم اللازم لإعادة العمل بهذه الحرفة التي تفتقر إليها أكثر المناطق بعد إن كانت موجودة في أزقة وحارات وأسواق دمشق وريفها، وتقتصر حالياً على سوق النحاسين في دمشق الذي يضم هذه الحرفة، ولكن ليس بألق الماضي، والمطلوب الآن دعم هذه الحرفة وتسهيل الترخيص للحرفيين العاملين فيها لتعود وتنتشر في كل مكان، لما لها من أهمية في حياة الإنسان، فلا يمكن أن نستغني عن الأواني النحاسية المختلفة في منازلنا.



ماذا فعلت السورية تنفيذا للمرسوم رقم «١»..

لجان تشكل لتقصي التجاوزات وضياع أموال وضعف إشراف

"البعث الأسبوعية" ـ ابتسام المغربي

ما معنى أن تحشد مؤسسة "السورية للطيران" كل الزخم لدفع العمل فيها وفق المرسوم التشريعي رقم ١، الصادر في التاسع من كانون الثاني ٢٠٢٠، والذي يؤكد على أن تكون المؤسسة شخصية اعتبارية تتمتع بالاستقلال المالي والإداري وترتبط بالوزير!! وتحل محل "مؤسسة الطيران العربية السورية"، المحدثة في العام ١٩٧٥، بهدف الارتقاء بمرفق النقل الجوي وتنمية الاقتصاد الوطني وتعزيز موقف سورية إقليميا ودوليا، والمساهمة الفاعلة في منظمات الطيران الإقليمية.

أما المهام التي أوكلت للمؤسسة فتشمل جميع عمليات النقل الجوي، ركابا وشحنا، وتقديم الخدمات الأرضية وعمليات استقبال الطائرات وترحيلها مع خدمات الإطعام وتموين الطائرات، يضاف إلى ذلك صيانة الطائرات وتعميرها وتقديم الخدمات الفنية بكل احتياجاتها، وتقديم خدمات التدريب والمشاركة بالمؤتمرات، ووضع برامج التشغيل للمحطات الداخلية والخارجية، والبحث عن أسواق جديدة، وتأمين أنظمة الحجز، وشراء وبيع وتأجير واستئجار طائرات، وتملك العقارات في المحطات الخارجية والداخلية؛ وفصل المرسوم التفاصيل التي تتعلق بوضع السياسات والبرامج التنفيذية التي تكفل تطوير العمل.



ماذا فعلت السورية على أرض الواقع

المهم في سرد هذه التفاصيل هو ماذا فعلت المؤسسة بعد صدور أكثر من عام على المرسوم، وماهي الإجراءات التي اتخذتها لتنفيذه، فلا يستوي على سطح واحد أن تكون إدارة المؤسسة حريصة على تأمين أفضل الموارد، وفي الوقت نفسه تقوم بهدر غير مفهوم لكل طاقاتها وامكانياتها وتتعامل كجاب فقط. وهذًا ما حصل مع إدارة شركة الخطوط الجوية السورية، ففي وقت استبسلت لتأمين موارد للخزينة العامة من خلال استعادة الحصرية، لتستفرد بكونها مؤسسة حكومية، وتجاوبت الجهات الوصائية مع العناوين البراقة التي ساقتها الإدارة لجهة تأمين الموارد وتخفيف العبء عن الدولة، وخرق الحصار، فحصلت على امتيازات لا تتناسب مع قوانين الطيران العالمي.

ربما حصّلت «السورية» بعض العوائد ولكن دون جهد، وربما حصّلت أيضاً بعض الموارد من خلال حصرية إعادة المواطنين السوريين العالقين في الخارج – وهذا حديث آخر في معايير النجاح والفشل – لكن المهم: أين تذهب الموارد، أو ما يمكن أن يكون أرباحاً؟ إليكم ما حصل!!

فتحنا باب التكسب

في قوانين الطيران المدني العالمي، يحتاج الركب الطائر، والطيارون بشكل خاص، إلى رحلات تدريبية في حال انقطاعهم أكثر من ٩٠ يوماً عن الطيران. وبالمقابل، صدر سابقاً مرسوم يعطي امتيازات مالية لهؤلاء تصل إلى عدة أضعاف الراتب، أيٍ أن الطيار الذي راتبه الأساسي ٥٠ ألف ليرة يتقاضى شهرياً ٢٥٠ ألف ليرة إضافية، بموجب هذا المرسوم مقابل تنفيذه الرحلات الاعتيادية.

هدر أطنان الفيول وخسارات برحلات وهمية

أما المفارقة هنا، فإن بعض المصادر أكدت أنه – وقبل مضي الشهر الأول على توقف الرحلات، وبدعوى تطبيق أنظمة الطيران المدني العالمي – وافقت المديرة العامة لشركة الخطوط السورية على تنفيذ رحلات غير تجارية خالية من الركاب فوق منطقة المطار بحجة تحقيق الركب الطائر للشروط.

ومحاباة لعناصر الركب الطائر، أهدرت مئات الملايين في عشرات الرحلات فوق المطار، بما تحمله من هدر وقود واهتلاكات وصيانة تزيد حتما على ما حققته من أرباح تشغيلية خلال الفترة الماضية! ورغم أن مدة الثلاثة أشهر لم تنته، ولكنهم حصلوا على تعويضاتهم كاملة منذ الشهر الأول، ولو على حساب الشركة؛ ولولا أن وزارة النقل تنبّهت للأمر في الشهر الثاني، وطلبت من الطيارين تقديم إجازات تكفل – بموجب المرسوم – حصولهم على التعويضات دون هدر، لاستمر المسلسل حتى الآن!

وللعلم، فالرحلة الوهمية تكلف المؤسسة عشرة أضعاف ما يأخذه الركب الطائر!! وعلمنا أن هذه الرحلات أهدرت عشرات الأطنان من الفيول، كحد أدنى من الوقود المستخدم!!

حجج وهمية للتمديد

ونسأل: لماذا التمديد للمدراء في الخارج رغم أن أعمالهم منتهية قانوناً، وأجروا الفحوصات المتعلقة بكورونا، ورغم ذلك يمدد لهم، ومنهم من دخل سورية لأكثر من مرة بعد التمديد، بحجة عدم السفر بعد كورونا؟ ولماذا تجري المؤسسة اختبارات لغة انكليزية، وتجري تدريبات، طالما تعمل على التمديد للمندوبين، وتترك الناجحين الجدد في خبر بعيد الإجابة؟ وكيف يعاد معاون المدير العام بعد قرار بإيفاده وكيلا، ويبقى في منصب المعاون أشهرا، رغم قرار الإيفاد، ورغم عدم جواز جمع منصبين؟ وكيف يتم إبعاده عن منصب معاون المدير العام، ولكن بعد ستة أشهر من عدم سفره بسبب كورونا، واعتذاره عن الإيفاد، يعاد تعيينه معاون مدير عام؟ لماذا التمسك بالاشخاص الذين لم يتركوا أية بصمة في عملهم؟ ولماذا الإصرار على الهيكلية بلا أعمال؟ ألم يتم الاكتفاء بالخسارة القائمة؟

ومدير المشتريات الذي قارب تعيينه العامين، وليس له توقيع على قرار أو لجنة. ما هو الداعي لمنصبه طالما لا يعمل؟ وهل تعيينه مديرا فقط لإرساله مندوبا؟

شراء وهمي

ونسأل: لماذا لم تظهر نتائج اللجنة المشكلة الخاصة بإشكالية التجاوزات الحاصلة بوهمية شراء طائرة تم ايقاف إجراءاته؟ ولماذا لم تحدد أسباب إقالة ستة مدراء من "السورية" بسبب ما تم من تجاوزات بهذا الشأن؟

لجنة صياغة تبتعد عن الاساسيات

فصلت اللجنة التي صاغت بنود المرسوم من المؤسسة والمشرفين عليها بتفاصيل إدارية وأغفلت الأساسيات في التطلع لأداء مختلف؟ فلمذا تحديد سبعة أعضاء مجلس إدارة مع أن القانون ٨٤ حدده بتسعة اعضاء؟ ولماذا إغفال ممثل العمال عن المجلس رغم أنه يمثل ٣٢٠٠ عامل في المؤسسة، والمادة ٢١ من القانون ٨٤ تؤكد على تمثيل العمال بمندوب بالمجلس؟ وكيف يمكن لموظف أن يشتكي مجلساً، فيه الوزير ومعاونه ومدير المؤسسة ومعاونوه، على ظلم وقع عليه من الأشخاص أنفسهم الذين هم ربما مساهمون في ظلمه؟

بيع الخطوط وتخسير المؤسسة

أما الطامة الكبرى، فكانت في بيع "السورية" لرحلاتها إلى بيروت لشركة "أجنحة لبنان" بمبلغ ١٥٦ دولارا عن الراكب، لتتفنن "أجنحة لبنان" بابتزاز الركاب السوريين وبيع التذاكر بـ ٧٠٠ دولار، ومعظم الركاب رحلاتهم ترانزيت لخطوط أخرى بعد بيروت!! والأغرب عدم تقاضي السورية دولارا واحدا عن مستحقاتها لرحلات ما بعد بيروت!! وعدد الرحلات المباعة بلغ ثمانية رحلات؟ رغم أن السورية كانت تستطيع ارسال رحلاتها إلى بيروت وعدم فوات المنفعة بمئات آلاف الدولارات التي ذهبت إلى الناقل اللبناني باستغلاله الفاقع والصمت عنه الأكثر فقاعة!!

الجعبة تمتلأ بالاخطاء

والسؤال أخيرا: لماذا تدفع "السورية" مئتي ألف دولار رسوما لـ "آياتا" التي تعطيها شهادة كرتونية دون أي مقابل؟ فالانتساب إلى منظمة الطيران العالمية يستوجب تقديم خدمات كثيرة، كالتزود بالوقود وتقديم قطع الصيانة وخدمات أرضية في كل العالم، وهذا غير متوفر حاليا بسبب الظروف، وليس مطلوبا أن تهدر المؤسسة أكثر على مذبح التمسك بكرتونة انتساب، ولا مقابل واحداً قدمته "آياتا" لـ "السورية"!!

أما عن بيع المستودعات الذي تم بربع ثمن الموجودات وتشكيل لجنة للتحقيق بعد أن فاحت الرائحة، وما أعلنته اللجنة من تجاوزات، فأمر يستحق التفرد بالتقصي والنشر، لأن ما تم هو تخسير فادح المؤسسة وبيع للمستودعات بربع ثمنها!!

تقصير حتى باستيفاء الحقوق

ولماذا أغفلت المؤسسة تحصيل مئات الملايين كعوائد آجار مبنى المؤسسة في شارع الثورة، ولم تحصلها وهي تقارب المليار!؟ ولماذا لم تحصل الأموال من المندوبين الذين لم يحولوا إلى حساباتها أية أموال من أعمالهم، وهذا مثبت لعديد من المندوبين كمحطتي بروكسل وامستىرام، والرقم ملايين بالعملة الصعبة؟

والغريب أن "السورية" ترمي أموالها رحلات وهمية، وتهمل استرجاع أموالها ومستحقاتها، ولكنها تتفنن بسلب مستحقات الضعفاء من موظفيها وتمنع عليهم استحقاقات يستحقونها، وتضطرهم لدفع أكلاف محامين وقضاء لرفع دعاوى على "السورية"، لاسترداد أموالهم، وقد استرد البعض أموالهم بالقضاء، ومنهم مدراء، والبعض ينتظر!! أليس هذا استغلالا وآداء إداريا ضعيفا؟!

أين الاشراف والمتابعة؟

ولكن يؤسفنا أن يكون ضعف المتابعة من قبل المعاون الوزاري المسؤول، وإلقاء المسؤولية على الحصار والظرف العام، والأمر ليس كذلك!! لماذا لا نعترف أننا فاشلون إداريا، وأن فشلنا الإداري ينعكس على العمل، وحصر "السورية" بالمصالح المحدودة لأفراد معدودين أكثر من أن تكون رافدا لخزينة الدولة وللتطور المنشود والتنمية؟

علينا أن ندرك أن مؤسساتنا العامة تمثل بلدنا، و"السورية" اسمها كان براقا، ولديها طاقات وإمكانيات كانت تؤهلها لإعمار الطائرات، وكانت في مصاف الشركات الأولى، وتراجعت كثيرا لتواتر الإدارات الضعيفة، والتي تمرر المصالح على حساب العمل والآداء، وأن دورها – كتقييم ربحي – ليس محصوراً بالجباية فقط، وأن بإمكان إدارتها تحصيل الأضعاف من استثمار ممتلكاتها وطاقة موظفيها. وكفانا اتكاء على الحصار، ولنعترف بواقع فشلنا ونسعى للتطوير والتنمية!!

انحسار إنتاج الجلود بعد تراجع الثروة الحيوانية بنسبة ٤٠٪

"البعث الإسبوعية" ـ أحمد العمار

قوضت سنوات الحرب أسس ودعائم صناعة الجلديات (الملابس، الأحذية، الحقائب، الجزادين، الهدايا، والإكسسوارات، وغيرها.) في البلاد، على نحو مخيف، حتى أتت على الأخضر واليابس بدءا من المنتجات والمواد الأولية والبنية التحتية وخسارة أسواق التصدير، وليس انتهاء بإغلاق الورش والمشاغل وتسريح العمالة، مع حرمان الاقتصاد طاقة تصنيعية تقدر بمئتي مليون دولار، جراء انحسار صناعة كان يرتبها المراقبون والقائمون عليها قبل الحرب ثالثة بعد النفط والقطن، سواء لجهة الحجم، أم فرص العمل المباشرة وغير المباشرة التي كانت تولدها. ثم ماذا بعد؟ أين أصبحت هذه الصناعة؟ ما الذي تعانيه؟ وما الذي يحد من انطلاقتها؟ وكيف يمكن البحث عن دور ومساهمة مناسبين لها في الاقتصاد؟!

انحسر القطيع.. نقصت الجلود

ولما كانت هذه الصناعة تعتمد، بنسبة كبيرة، على الجلود المنتجة والمدبوغة محليا، فإن تراجع الثروة الحيوانية، خلال سني الحرب، أوقع المنتجين في مشكلة نقص التوريد، كمية وجودة؛ وبالرغم من أنه لم تكن تتوافر، قبل الحرب، أرقام دقيقة عن حجم الثروة الحيوانية في البلاد، إلا أن التقديرات القريبة من الواقع كانت تشير إلى ما بين ٢٠ – ٣٠ مليون رأس من الأغنام والأبقار والماعز والجاموس، منها حوالى ١٤ – ١٧ مليون رأس من الأغنام.

أدى النقص الملحوظ في أعداد القطيع إلى نقص إمدادات السوق المحلية من الجلود، التي تعد المحرك الرئيس لصناعة الجلديات، إذ تفيد المؤشرات الصادرة عن وزارة الزراعة وأوساط المربين إلى أن البلاد فقدت، خلال عشر سنوات، حوالى ٤٠ بالمئة من ثروتها الحيوانية، كما تفيد بأن توزع القطيع، حتى نهاية العام الفائت، وصل بشكل تقريبي إلى حوالى تسعة ملايين رأس من الأغنام، و٨٠٠ ألف من الأبقار، و١,٥ مليون من الماعز، و٦٥ ألفا من الجاموس.

وتراجعت الدباغة أيضا..

أدى النقص الحاصل في الجلود إلى تراجع الأعمال المرتبطة بها جميعا، سيما قطاع الدباغة، الذي كان يحركه عدد كبير من الدباغات، وصل إلى أكثر من ٢٢٠ دباغة، ١٨٨ منها في دمشق، و٣٢ في حلب، وفقا لما يؤكد رئيس لجنة صناعة الجلود في غرفة تجارة دمشق، الدكتور محمد خير درويش، الذي يقدر أنه لا يعمل سوى نحو ٢٠ بالمئة من هذه الدباغات، وبشكل متقطع، جراء عديد المعوقات التي تحد من نشاطها.

ويقول درويش، الذي يعمل في إنتاج وتسويق الجلديات المختلفة، إن صناعتهم مهمة جدا بالنظر لقدرتها على تأمين احتياجات السوق المحلية بنسبة تتجاوز الـ ٩٠ بالمئة، وعلى رفع معدلات التشغيل، وامتصاص فوائض البطالة، وتأمين قطع أجنبي، نتيجة تصدير الكثير من المنتجات الجلدية المرغوبة في الأسواق العربية والعالمية، لافتا إلى معاناة هذه الصناعة، جراء اتخاذ قرار بتصدير الجلود، العام الفائت، ما رفع أسعارها بأكثر من ضعفين للقدم الواحد، وإلى أهمية أن تتشاور وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية مع اتحادات غرف الصناعات والتجارة والزراعة لضمان سد احتياجات الأسواق المحلية، قبل الشروع في التصدير.

المعرض الأخير

أسهم معرض سيلا الدولي التصديري للأحذية والصناعات الجلدية ومستلزمات الإنتاج، الذي أقيم مؤخرا في مدينة المعارض بدمشق، بتحريك وإنعاش الطلب على المنتجات الجلدية، لكن لصناع الجلديات رأي آخر، حيث حال تذبذب أسعار الصرف ونقص المواد الأولية دون تلبية الطلبيات والعقود الموقعة في هذا المعرض، حسب درويش الذي يوضح صعوبة ضبط تكاليف الإنتاج والتسليم والتوريد، جراء هذا التذبذب، الذي تختلف باختلافه أسعار مدخلات ومخرجات الإنتاج جميعا.

.. وهذه الصعوبات

تشكل صناعات الجلديات إحدى الصناعات المهمة في حلب، ولكنها باتت تعاني من جملة صعوبات تعيق نموها وتهدد استمرارها؛ ويلخص الصناعي براق عطار هذه الصعوبات بغياب الكهرباء واضطرار الورش هناك للاعتماد على التغذية بنظام الـ "أمبيرات"، حيث يتكلف أسبوعيا بين ٣٠ – ٤٠ ألف ليرة للحصول على خمسة "أمبير"؛ والمشكلة نفسها بالنسبة لنقص الغاز الصناعي، حيث من المفترض أن يستلم الصناعي هذه المادة بمعدل مرتين إلى ثلاث، ولكنه في واقع الحال لا يستلمها إلا كل شهرين إلى ثلاثة أشهر، وفي الوقت الذي تحتاج هذه الصناعة إلى البنزين، فإن الورش العاملة لا تحصل على مخصصات منه، وتضطر لتأمينه من السوق غير النظامية.

ويسهم النقص وغلاء المواد الأولية، وفقا لعطار، في ارتفاع تكاليف المنتج النهائي، فقد دفع سعر الصرف في الأسابيع الأخيرة بالأسعار إلى مستويات غير مسبوقة؛ فمثلا، كان سعر القدم الواحد من جلد البقر قبل شهر بـ ٣٤٠٠ ليرة سورية، وحاليا أصبح بـ ٥٠٠٠ ليرة، والأمر نفسه بالنسبة للّواصق والمسامير والـ "بوسطن" (مادة لصق وتثبيت)، والـ "سنكلية" (قطع بلاستيكية توضع في مقدمة ومؤخرة الحذاء)، والنعال (PVC) الذي تصنع منه أرضية الحذاء، مشيرا إلى أن هناك شكوى عامة من صناع الأحذية تتعلق برداءة جودة هذا النعال، الذي سرعان ما يتكسر عند استخدام الزبون له لمدة شهر أو شهرين، مقترحا أن تتولى الجمعيات المختصة بهذه الصناعة شراء المواد الأولية بالجودة المناسبة، بحيث تبيعها للمنتجين بشكل مضمون، ما يخفف من تكاليف الإنتاج، ويحمي الزبون من خسائر متكررة، نتيجة عدم استدامة المنتج.

دعم واستمرارية الصناعة

إزاء ما تعانيه صناعة الجلديات المحلية، لا بد من تقديم الدعم المناسب الذي يضمن استمراريتها. وفي هذا السياق، يقترح صناعيون، بينهم درويش، إقامة تشاركية بين القطاعين العام والخاص في مجال الدباغة وصناعة الأحذية، بالاستفادة من الإمكانات الكبيرة التي يمتلكها القطاع العام من آلات وخطوط إنتاج ودباغات وكوادر بشرية، ومن خبرات الخاص الفنية والتقنية والتسويقية، ومرونة اتخاذ القرار البعيد عن الروتين. كذلك فتح قنوات مصرفية مع الأسواق الخارجية تمكن المستمرين من تسديد قيمة مشترياتهم واستلام قيمة صادراتهم، مع تسهيل استيراد بعض المواد الأولية – كالصباغ والخيوط واللواصق والآلات والجلود غير المنتجة محليا – وتوفير المحروقات والطاقة اللازمة للبخّ والقص والصباغ وغيرها. علما أن النسبة الكبيرة من الورش تعمل اليوم ضمن الأحياء السكنية، بعد أن فقدت مقارها في الضواحي والمناطق الصناعية والأرياف، وترميم نقص الكوادر البشرية الكفوءة، بعد أن هاجرت أعداد كبيرة منها، بفعل الحرب وتراجع الصناعة، وذلك عبر تأهيل وتدريب كوادر شابة، لضخ دماء جديدة في العملية الإنتاجية.

إلى ذلك..

بالرغم من جودة المنتجات الجلدية المحلية، وامتلاكها عديد المزايا التنافسية، إلا أننا ما زلنا لا نرى علامات تجارية معروفة ومشهورة، قياسا بتلك العلامات المعروفة حول العالم، ما يتطلب تركيز المنتجين على هذا الجانب، والاستفادة من خبرات وتجارب إقليمية وعالمية، وذلك بالتنسيق مع مديرية حماية الملكية في وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك، بالنظر لكونها الجهة المعنية بتسجيل وحماية هذه العلامات.

ournamar@yahoo.com

مشروعات مجلس مدينة طرطوس الاستثمارية..

عائدات «جونادا» بانتظار انعقاد الهيئة العامة و«الكونكورد» يكتفي بالسور!

"البعث الأسبوعية" ـ وائل علي

نستنتج من إجابات مجلس مدينة طرطوس على أسئلة "البعث الأسبوعية" الخطية حول المشروعات الاستثمارية السياحية المشتركة التي تملك مدينة طرطوس الحصة الأكبر فيها، وهي "الأرض" التي اختارها المستثمرون بعناية فائقة ورؤية ثاقبة لموقعها الجغرافي وآمال واعدة باستثمارات مضمونة النتائج –وهذا حقهم بالتأكيد، على اعتبار أن رأس المال يوسم بالـ "جبان" – أن متابعات المجلس يمكن وضعها في خانة رفع العتب، وأن المجلس – على ما يبدو – ليس متشبثاً كثيراً بتحصيل حقوقه المشروعة كطرف أول في هذه المشاريع المشتركة من المستثمرين كطرف ثان، وأنه في كثير من الأحيان يبدو متهاوناً ومتساهلاً ويقف في ضفة المستثمرين أكثر من وقوفه مع نفسه بدليل التبريرات التي تساق وتقدم في معرض تفهمه – إن لم نقل – انصياعه لهذه التبريرات، وعدم اتخاذه أية إجراءات بموجب العقود الموقعة والقوانين والأنظمة المرعية!

إشكالية "المارينا"

نبدأ بإشكالية مشروع مارينا المتعلقة بطلب المستثمر نقل حق الاستثمار لمستثمر آخر، وموقف المجلس والإجراءات التي تم اتخاذها بهذا الخصوص، إذ اكتفى رئيس المجلس، محمد خالد الزين، بالإشارة إلى أنه تم إبرام العقد رقم ٣، للعام ٢٠٢٠، مع شركة أرمان للإدارة الفندقية والسياحة، وصدق من وزير السياحة، وأنه وفقاً للبند السادس من المادة الخامسة من العقد لا يجوز للفريق الثاني التنازل كلاً أو جزءاً عن أي من فعاليات المشروع طوال مدة التنفيذ، إلا أنه يمكن للفريق الثاني بعد إنجاز وتنفيذ المشروع (مفتاح باليد) التنازل للغير شريطة موافقة الإدارة الخطية المسبقة، ولم يوضح الزين ما سيتخذه المجلس من إجراءات بحق المستثمر في حال لم يباشر بتنفيذ المشروع!

لا أحد يعلم

بالانتقال إلى أن موضوع نقل موقع الشرطة العسكرية الذي ينتظره الأهالي والجوار منذ عقود إلى المقر الجديد "المنجز" لتتكحل عيونهم برؤية الحديقة التي يقرها المخطط التنظيمي للمدينة، اكتفى المجلس بتسطير كتب الإخلاء المتلاحقة لشاغلي الموقع، والتي لم تثمر عن أي نتيجة تذكر حتى تاريخه، رغم مضي زمن طويل على إنجاز المقر الجديد، ولا أحد يعلم بموعد الإخلاء وتسليم الموقع لمجلس المدينة، ولم يكلف المجلس نفسه عناء إشراك السلطات المحلية والمركزية والتنفيذية العليا وتحميلها مسؤولياتها لجهة تسريع عملية نقل الموقع، علماً أن هناك قراراً صادراً عن مقام الرئاسة، خلال الزيارة التي قام بها السيد الرئيس بشار الأسد لمحافظة طرطوس، قبل أكثر من خمسة عشر عاماً؛ وهنا يبين الزين أنه تم استلام المقر الجديد من الشركة المنفذة استلاماً أولياً بعد تجهيزه بالكامل، وتمت مخاطبة فرع الشرطة العسكرية في طرطوس لعدة مرات من أجل استلام البناء، ونقل مقر الفرع إليه.

تبرير

عزا رئيس المجلس سبب التأخر بإنجاز مطعم الحديقة المركزية إلى الظروف السيئة التي يمر بها البلد –حسب تعبيره – مشيراً إلى أنها أثرت على سير الأعمال في الموقع، مؤكداً وجود عدة محاضر تبرير منظمة أصولاً، وأنه تم تكليف المستثمر ببدل الاستثمار وفق العقد، بدءاً من تاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١٧، مبيناً أن المشروع حالياً قيد تنفيذ أعمال الإكساء، وأن المستثمر يقوم بتسديد بدلات الاستثمار، علماً أن هناك دعوى مرفوعة من قبل المستثمر حول موضوع زيادة بدلات الاستثمار، ولا تزال منظورة أمام القضاء وفيها قرار وقف تنفيذ حول القرار المشكو منه جزئياً، بما يتجاوز ضعف البدل العقدي، مع الإشارة هنا إلى مرور أكثر من عقد من الزمن على إبرام عقد إنشاء "مطعم حديقة الباسل"!

"شماعة الهيئة "

لا يزال شركاء مشروع جونادا السياحي (مجلس المدينة والمستثمر) ينتظرون انعقاد الهيئة العامة للمشروع الموعود الذي لم يحصل منذ انطلاق المشروع قبل ما يقرب من الخمسة عشر عاماً، ولا تشي المعلومات المتوفرة بقرب انعقاد الهيئة، وهذا يعني – فيما يعنيه – استمرار تعطيل الكثير من القرارات التي ستظل على قائمة الانتظار إلى أجل غير مسمى، وبالتالي تأخير مواعيد استكمال إنجاز باقي أجزاء المشروع الذي يتضمن إشادة مرفأ جديد للنزهة، وتنفيذ حديقة عامة في الجزء المقابل للمدينة القديمة، إضافة إلى ترميم واجهتها الأثرية الغربية بالتنسيق مع دائرة الآثار، إلى جانب عدم تحصيل حقوق المدينة المالية المستحقة، بل ضياعها، ليأتي الجواب "الرسمي" البحت من رئيس مجلس المدينة مبيناً فيه صدور قرار رئيس مجلس الوزراء – رئيس المجلس الأعلى للسياحة – رقم ٤٣٩ تاريخ ٥/ ١/ ٢٠٢٠، المتضمن تكليف محافظ طرطوس ومجلس المدينة بالتواصل مع شركة انترادوس المستثمرة للمشروع، والعمل بإشراف وزارة الإدارة المحلية والبيئة لوضع برنامج زمني لتسديد الالتزامات المالية المترتبة عليها لصالح مجلس مدينة طرطوس؛ وعليه، تم تنظيم اجتماع برئاسة المحافظ بحضور رئيس مجلس المدينة والمعنيين في المدينة، ورئيس مجلس إدارة شركة انترادوس، حيث تم الالتزام من قبل المستثمر بتحديد موعد لاجتماع الهيئة العامة بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٢٠، ونتيجة للقرارات الحكومية المتخذة من أجل الحد من انتشار فايروس كورونا تم إلغاء كافة مؤتمرات الهيئات العامة لاحقاً!

وأشار الزين في معرض إجابته "الرسمية" أنه بناء على ما سبق تمت مخاطبة شركة انترادوس لاستكمال تسديد كافة الالتزامات المالية المترتبة عليها لصالح مجلس مدينة طرطوس، وقامت الشركة بتسديد مبلغ مالي وقدره خمسمائة مليون ليرة سورية لصالح مجلس مدينة طرطوس كسلفة من حساب الأرباح، لافتاً في ذات السياق إلى أنه تمت أيضاً مخاطبة الشركة بالكتب ذوات الأرقام ٤١٣٧ ص تاريخ ٢٠/ ٩/ ٢٠٢٠ و٤٦٨٥ ص تاريخ ١٥/ ١٠/ ٢٠٢٠، و٢٤٩ ص تاريخ ١٧/ ١/ ٢٠٢١، لتحديد موعد لعقد مؤتمر الهيئة العامة العادية للشركة بالسرعة الكلية ليتم عرض الحسابات الختامية الخاصة بالشركة عن الأعوام السابقة، والتي على أساسها يتم تحديد حصة المدينة من قيمة الأرباح بعد أن يتم تصديقها من الهيئة العامة، ولغاية تاريخه لم يردنا رد بخصوص ذلك!

الكونكورد كذلك الأمر!

لا يختلف مشروع كونكورد السياحي المعروف بضاحية الفاضل عن سابقه، جونادا، لجهة التأخر بالإنجاز، مع فارق جوهري هو أن الأول لم يحظ سوى بسور متواضع حول الإطلالة للمشروع؛ وبهذا الصدد، يقول الزين: تم إبرام العقد رقم ٨٤ لعام ٢٠٠٧ بين مجلس مدينة طرطوس والشركة، وصدق من قبل وزير السياحة بتاريخ ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٧؛ ونتيجة للجهود الحكومية المبذولة لمعالجة المشاريع السياحية المتعثرة – والكلام للزين - صدر قرار وزير السياحة رقم ٦ تاريخ ٦/ ١/ ٢٠١٩، المتضمن دراسة كافة عقود مشاريع الاستثمار المبرمة، والمصدقة أصولاً، وإعداد ما يلزم لإنجاز التوازن المالي العقدي بالتنسيق مع الجهات المالكة للموقع؛ وعليه تم تنظيم ملحق عقد رقم ١٠٦ تاريخ ١٨/ ٣/ ٢٠٢٠، وتصديقه أصولاً، وتم البدء بتنفيذ الأعمال التحضيرية "سور من أحجار البناء" في الموقع من قبل الشركة، وقدمت البرنامج الزمني الخاص بالمشروع وفق ملحق العقد المبرم والمخططات المعمارية ومخطط الموقع العام؛ وقد تم دراسة المخططات من قبل المدينة، وإرسال نسخة مصدقة إلى وزارة السياحة لإصدار رخصة الإشادة السياحية الخاصة بالمشروع بعد أربعة عشر عاماً من تسليم الموقع!

لا مواعيد واضحة

حاولنا الحصول على مواعيد نهائية أو تقريبية لبدء استثمار مشروعات طرطوس السياحية المتعثرة من رئيس المجلس، والذي اكتفى أيضاً بإجابة لا تحمل أية معلومة بهذا الخصوص، إذ كانت إجابته حرفياً: "إنه نتيجة للجهود الحكومية المبذولة لمعالجة المشاريع المتعثرة، تم تنظيم ملاحق عقود خاصة بالاستثمارات السياحية المتعثرة في مدينة طرطوس، وجميع ملاحق العقود تضمنت برامج زمنية لتنفيذ وإنهاء كافة الأعمال، ووضع المشاريع قيد الاستثمار، وفي حال عدم إنجاز المشاريع وفق المدد الزمنية المحددة بملاحق العقود فقد نصت الملاحق على سريان بدلات الاستثمار الخاصة بكل مشروع على حدة من تاريخ نهاية هذه المدد الزمنية".

ونختم..

إن الأداء الخجول عموماً لمجلس مدينة طرطوس – مع الأسف - يزيد في تفاقم المشكلات وأمد معالجاتها، إلى جانب ندرة التفاعل الرسمي على كل المستويات مع حقوق المجلس "المهضومة"، وعدم متابعتها لتصبح مشروعات ناجزة على الأرض تعود على "المدينة بشخصيتها الاعتبارية"، وعلى أبنائها بطبيعة الحال بالخير.

أقل ما يقال

من الذي يضارب؟ وما هي أدواته؟

«البعث الأسبوعية» ـ حسن النابلسي

في الوقت الذي يؤخذ على الحكومة، ممثلة بمصرف سورية المركزي، الصمت المطبق حيال ما انتاب سعر صرف الليرة من تذبذب حاد، وانعكاساته المباشرة على تضخم الأسعار، مقابل تدني القوة الشرائية، ثمة من يرجح أن شيئاً ما يلوح بالأفق، وأن هذا الصمت ليس عبثياً، وإنما كان بمنزلة الغطاء على دراسة متأنية لخيارات التدخل المناسب في الوقت المناسب.

وإذا ما نظرنا – من الناحية الاقتصادية المنطقية – إلى ما اعترى سوق القطع خلال الفترة القليلة الماضية من ارتفاعات متسارعة لسعر صرف الدولار، فإن واقع الأمر يؤكد أنها غير مبررة أبداً، لاسيما وأنه لم يحدث أي طارئ خاصة على المستويين الاقتصادي والسياسي، لا بل ويؤكد بعض المتابعين لمسار الاقتصاد الوطني، وحيثياته الدقيقة، أن هناك بعض المؤشرات الدالة على تحسن البنية الاقتصادية ولو بنسبة بسيطة، أو على الأقل ثباتها عند مستوى معين، ولكنها حتماً لم تتراجع، وبالتالي من المفترض أن ينعكس ذلك بنهاية المطاف على ثبات سعر الصرف على ما كان عليه قبل الارتفاع الأخير غير المبرر!

من هذه المؤشرات ارتفاع حجم الصادرات – ولو بشكل طفيف - خاصة إلى دول الجوار كالعراق والأردن، وارتفاع قيمة الحوالات الخارجية، مقابل انخفاض – وربما طفيف أيضاً - بالمستوردات نتيجة انخفاض القوة الشرائية، ما يعني ارتفاع حصيلة الإيرادات من القطع الأجنبي «من الصادرات والحوالات»، مقابل انحسار الطلب على هذا القطع نتيجة انخفاض المستوردات، وبالتالي يفترض انخفاض سعر صرف الدولار، أو ثباته على أقل تقدير، وليس ارتفاعه المحموم كما حصل. لنستخلص، بناء على ما سبق، أن سبب هذا الارتفاع هو المضاربة بالدرجة الأولى، وبعد تحقيق المكاسب من هذه المضاربة سيهوي السعر إلى ما كان عليه!

بالفعل، بدأ سعر الصرف يشهد انخفاضات تدريجية يتوقع أن تثبت عند حد معين يمكن اعتباره نقطة ارتكاز، أو توازن، أقرب ما تكون لبيضة قبان السوق التي توازن بين العرض والطلب إن صح التعبير.

إذاً، المضاربة هي السبب الفعلي وراء حمى سوق القطع، ليبقى السؤال: من الذي يضارب وما هي أدواته وأزلامه؟

نعتقد – وفق ما بعض المعطيات - تورط بعض كبار المقترضين من المصارف بأعمال المضاربة، خاصة من يحظى منهم بما يسمى «القروض الدوارة ذات الأسقف المفتوحة»، إذ يحولون ما يحصلون عليه من قروض بالليرة السورية إلى قطع أجنبي، ويبدأون بعدها بمحاولات لرفع سعر صرف الأخير إلى مستويات عالية، ليردوه «أي القطع الأجنبي» بعد وصوله إلى هذه المستويات إلى ليرات سورية، فيتضخم ما بحوزتهم من أموال يسددون بجزء منها قرضهم «الدوار»!

ختاماً، لا ننكر ما ينتاب الاقتصاد من مشاكل لم يتعاف منها بعد، ولا ننكر ما يواجهه من تحديات أثرت على كل مفاصله ومسار نهوضه، وكان لها تداعيات واضحة على سعر الصرف، لكن جاءت «القروض الدوارة» لتزيد طين سعر الصرف بلّة، فهي إحدى أخطر العوامل التي تؤجج المضاربة في السوق السورية، وثغرة باتت تستوجب أن تسد بشكل فوري!

hasanla@yahoo.com

لا جدوى من «الاستنفار» إن لم يتوقف التجار وحيتان المال عن المضاربة ورفع الأسعار؟



"البعث الأسبوعية" ـ علي عبود

ليست المرة الأولى التي تجتمع فيها الحكومة مع اتحاد غرف التجارة لطلب مساعدته بلجم ارتفاع الأسعار ووقف عمليات المضاربة وتهريب الدولار إلى الخارج، ولكن ما ميز الاجتماع الأخير، في الثالث من آذار الجاري، أنه اكتسب طابع "الاستنفار" بعد التدهور الكبير والخطير للأسعار ولسعر الصرف، والذي وصل إلى مستويات غير مسبوقة. وإذا استندنا إلى تجارب الاجتماعات السابقة، فإننا سنستنتج سريعا بأن حصيلة "الاستنفار" ستكون "صفراً"، أما لأن اتحاد غرف التجارة غير قادر، أي "لا يمون" على التجار وقطاع الأعمال وحيتان المال، أو أنه لا يريد أن يدخل في نزاع مع "إخوة الكار"، ويعتبر بالتالي إن مسؤولية الأسعار والمضاربة تقع بكاملها على عاتق الحكومة!!

وفي كل اجتماع لغرف التجار مع جهات حكومية، على مختلف مسمياتها ومندرجاتها، تتكرر مطالب لا تنتهي يرى أصحابها أن عدم تنفيذها يتسبب برفع الأسعار وإضعاف الليرة والمضاربة على الدولار.. إلخ.

والسؤال: هل لدى الحكومة إجراءات أو آليات، لم تتخذها حتى الآن، من شأنها إلزام قطاع الأعمال والتجار وحيتان المال بوقف المضاربة على الليرة ورفع الأسعار، أم أنها عاجزة عن الفعل، وبالتالي سيبقى رهانها على وطنية أو ضمير، أو حتى ما تبقى من جانب إنساني لدى من يصر على رفع الأسعار وعمليات المضاربة؟

لسنا وحدنا من يعاني

ولعل الإشكالية الكبرى التي نواجهها عندما يتحدث الكثيرون عن الأسعار والدولار هي أننا وحدنا الذين نعاني من الحصار والعقوبات و. جشع التجار!

ولو كنا فعلا وحدنا من يعاني، ولا نتعرض لأي عقوبات أو حصار، لتمكنت الحكومة من إيجاد الحلول لمشكلتي الأسعار والدولار ولشح المواد الأساسية التموينية والمحروقات. ولكن عندما تكون الدول الصديقة والحليفة تعاني أيضا من العقوبات والحصار فمن الطبيعي أن تكون الحلول لما نعانيه مهمة صعبة. وإذا كانت دول مثل الصين وروسيا وإيران تتأثر بالعقوبات فإنها قادرة ليس على مواجهة العقوبات فقط، وإنما الرد بالمثل عليها أيضا، وهذا غير متوفر لدى سورية فليس أمامها من سبيل سوى الاعتماد على الذات، أي تفعيل قطاعي الإنتاج بشقيه الصناعي والزراعي، وهذا الحل الناجع أهمل دون أي مبرر.

وما يزيد معاناتنا أن دول الجوار إما تعاني من أزمات حادة مالية ومصرفية واقتصادية تجسدت بانهيار عملتها وبارتفاع جنوني للأسعار، كلبنان، أو أنها تشارك بالحصار على سورية، مثل الأردن ومصر، فتمنع وصول إمدادات المحروقات والسلع أو تعرقل تصدير منتجاتنا. أما المعاناة الأكبر فهي باحتلال المناطق التي تعتبر خزان سورية الغذائي والنفطي، ومنع المحتل الأمريكي من التواصل الجغرافي بين سورية والعراق لعرقلة أي تبادل تجاري بين البلدين.

وكما قلنا فإن الإشكالية أن بعض المحللين يطرحون حلولا، وكأنّ سورية تعيش باستقرار وسلام، وبأن دول الجوار تقيم معها علاقات اقتصادية سليمة. أما معظم رجالات قطاع الأعمال وحيتان المال فلم يتصرفوا حتى الآن من منطلق وطني أو إنساني، فهم يجدون في الحرب والحصار والعقوبات مجالا واسعا، وفرصا من ذهب لشفط المليارات وتحويلها إلى دولارات وتهريبها إلى الخارج. وأمام هذا الواقع المعقد، من الطبيعي أن تلجأ الحكومة إلى من بيده القدرة على لجم الأسعار والدولار، أي التجار والصناعيين وتستنفرهم، ولكن هل سيستجيبون؟ أم سيستمرون بالمساهمة في زيادة معاناة البلاد والعباد؟

المسؤولية المشتركة

وفي هذا السياق، من الطبيعي أن يركز رئيس الحكومة على أهمية تكاتف الجهود للحد قدر الإمكان من تأثير الحصار الاقتصادي على الواقع المعيشي للمواطني، لأن "الظروف الراهنة تتطلب تحمل كافة مكونات المجتمع المسؤوليات الملقاة على عاتقها، والتحلي بروح المبادرة، ودعم الجهود الحكومية الرامية لتنشيط الأسواق". ومطلب الحكومة خلال اجتماعها الأخير مع مجلس إدارة اتحاد غرف التجارة السورية لم يكن جديدا، وهو "محاربة التهريب وعمليات المضاربة على الليرة"، لكن هذا المطلب يكتسب أهمية استثنائية في هذه المرحلة لأننا لا نتأثر بالحصار والعقوبات فقط، وإنما أيضا بازمات دول الجوار من جهة، وبصعوبة وصول المساعدات والتوريدات من جهة أخرى بفعل حصار "الأشقاء"!

وبما أن المنعكسات المباشرة تظهر في السوق المحلية، أي في ارتفاع الأسعار وانسياب المواد، فمن الطبيعي أننا لن نشهد استقراراً في الأسعار إن لم تكن إدارة السوق مسؤولية مشتركة بين الجهات الحكومية واتحاد غرف التجارة؛ ويبدو إن التجار غير مستعدين لإدارة السوق مع الحكومة، بل إلى احتكار الأسواق والأسعار والمواد، بما يضمن أرباحا فاحشة لهم تتزايد يوما بعد يوم!

التشاركية فعل أم وهم؟

ومن يسعى إلى الاحتكار سيرفض تشارك المسؤولية، لا مع زملاء "الكار"، ولا مع أي جهة حكومية.

لقد خاب أمل الحكومات السابقة بتعويلها على قانون التشاركية بين العام والخاص، فلم نشهد مشاريع فعلية تجسد مضمون القانون، ولو بالحد الأدنى اليسير الذي يركز على الإنتاج والتصدير، لا على الاستيراد والمضاربة وتهريب الدولار!!

لقد بالغنا كثيرا في الحديث خلال السنوات الماضية عن تعزيز الشراكة مع قطاع الأعمال، وتوفير متطلبات توسيع نشاطاته، فهذا القطاع ليس أكثر من شركات عائلية نشاطها التجاري سري، وتقوم بالتهرب الضريبي وتحويل أرباحها إلى دولارات وتهريبها إلى الخارج.

والمسألة لم تكن يوما صعوبات تعوق النشاط التجاري أو مشاركة اتحاد غرف التجارة في مناقشة القرارات الاقتصادية، فغالبا ما يكون وزير الاقتصاد من القطاع الخاص، وهناك دائما ممثلون للقطاع الخاص في مجلس الشعب، بل إن وزارة المالية المتشددة مع الجميع تراعي اتحاد غرف التجارة، وتؤجل قرارات وقوانين يرفضها التجار كالفوترة والأتمتة.

والمسألة الجوهرية كانت تتمحور، ولا تزال، وستستمر حتى أمد قد يكون بعيدا جدا، حول سؤال: هل التجار ورجال الأعمال وحيتان المال شركاء وطنيون حقيقيون يتعاطون بمسؤولية مع الظروف الإستثنائية القاهرة التي تمر بها سورية، فيعززون قيمة الليرة، ويلجمون ارتفاع الأسعار، والمضاربة بالدولار، ويوقفون تهريبه إلى الخارج ، أم ليسوا سوى تجار ومضاربين لا تهمهم البلاد ولا العباد؟

والسؤال: هل تطرقت الاجتماعات الأخيرة بين اتحادي غرف التجارة والصناعة والتي اكتسبت صفة "الاستنفار" إلى تبني أية خيارات من شأنها وقف عمليات التهريب والمضاربة والارتفاع الجنوني للأسعار؟

معزوفة زيادة الإنتاج

وبما أن المشكلة منذ سنوات، ومحورها الارتفاع الكبير للأسعار، وتراجع القوة الشرائية لليرة أمام الدولار، فمن الطبيعي أن يكون الحل لدى القطاع الصناعي بشقيه العام والخاص، ذلك أنه بالإنتاج الوطني يمكن توفير السلع البديلة للمستوردة، وتخفيض الطلب على الدولار، بل وزيادة التصدير المدرّ - لا المستنزف - للقطع الأجنبي ولن نأتي بجديد بقولنا مع الكثيرين: الإنتاج وحده يدعم الليرة السورية؛ ولكن من المؤسف أن تتحول هذه البدهية إلى معزوفة ممجوجة، فما من حكومة حولتها، منذ عام ٢٠١١ على الأقل، إلى فعل ملموس وحقيقة واقعة!!

وصفة الصناعيين لتقوية الليرة

وإذا استعرضنا مطالب الصناعيين المتكررة مع كل رؤساء الحكومات السابقين سنكتشف أنها وصفة مناسبة جدا لما تعانيه سورية من مصاعب اقتصادية ودولارية، وهي وصفة لا سحرية لأننا سبق وجربناها وحققت لنا الاعتماد على الذات واحتياطيا كبيرا من القطع الأجنبي وصفر مديونية. وتتمحور هذه الوصفة حول تطوير التشريع الضريبي، ودعم التبادل التجاري مع الدول الصديقة، والإسراع باستصدار قانون الاستثمار، وتقديم التسهيلات لإعادة تأهيل المعامل المتضررة من الإرهاب، وتوفير حوامل الطاقة اللازمة للإنتاج الصناعي، وقصر الاستيراد على مستلزمات الإنتاج، وتشجيع الصناعات التصديرية، وتقديم المحفزات لاستقطاب رجال الأعمال المغتربين للاستثمار داخل البلاد.

أليس مستغربا ألا تكون هذه العناوين محور عمل وخطط جميع الحكومات؟ وبما أن رئيس الحكومة أكد خلال الاجتماع أن دعم الإنتاج الصناعي أولوية في العمل الحكومي لتأمين احتياجات المواطنين الأساسية واستهداف أسواق تصديرية جديدة، فهل ستتم ترجمة هذا الدعم بقرارات وإجراءات وبقوانين عند المقتضى؟

الملفت أن رئيس الحكومة شدد على أهمية التشبيك بين القطاعات الإنتاجية الصناعية والزراعية لتحقيق الاكتفاء الذاتي وتخفيض فاتورة الاستيراد، لأن "الجميع معني بدعم الليرة السورية وضرورة تكاتف الجهود لمواجهة عمليات المضاربة وزيادة العملية الإنتاجية". وربما هي المرة الأولى التي يدعو فيها رئيس الحكومة اتحاد غرف الصناعة إلى "تقديم الرؤى والمقترحات التي من شأنها دعم الصناعة المحلية باعتباره شريكاً تنموياً مهماً ليصار إلى الاستفادة منها في القرارات الحكومية المتخذة لمساعدة الصناعيين على توسيع نشاطاتهم الإنتاجية".

ليس عصا سحرية

وكشف رئيس اتحاد غرف الصناعة السورية فارس الشهابي أنه "تم طرح جميع الهموم التي تقف عائقاً أمام خلق بيئة استثمارية وإنتاجية وكل التفاصيل التي تساعد في تحسين سعر الصرف"، وأكد جازماً: "تحسين سعر الصرف ليس عصا سحرية يتم بعمل واحد، وهو عبارة عن عدة قرارات وإجراءات مطلوبة إذا اجتمعت سوية تعطي بنياناً قوياً يضع سعر الصرف على الطريق الصحيح".

وشدّد على ضرورة سد الثغرات التي يتسرب منها الدولار وأهمها البيوع العقارية الكبيرة التي تُهرّبُ أموالها إلى الخارج والمعابر التي يُهرّبُ عبرها الدولار لشراء المهربات التركية. كما شدد الشهابي على اتخاذ إجراءات أخرى كإيقاف استيراد منتجات نحن لسنا بحاجة إليها، وحصره باستيراد مستلزمات الإنتاج، وحصر القروض بالقطاعات الإنتاجية التصديرية. ورأى رئيس غرفة صناعة دمشق وريفها سامر الدبس أن القطاعين الصناعي والزراعي هما القادران على التحرك في هذه المرحلة بالتصدير. ولفت إلى ضرورة ضرب مواقع المضاربة على الليرة عبر مواقع التوصل الاجتماعي لما لها من دور سلبي كبير في رفع سعر الصرف من دون وجود أسباب حقيقية.

ورأى الدبس أن القطاع الصناعي ليس ضاغطاً على القطع الأجنبي، والصناعيون يشترون قطعاً بالحد الأدنى لتأمين موادهم الأولية، لكن هناك قوى مضاربة في السوق هي من تصنع البلبلة. وأكد أن مصلحة الصناعي والمواطن والدولة واحدة، موضحاً أن ارتفاع السعر في الأسواق يضر الصناعي كما يضر المواطن، لأن القدرة الشرائية محدودة لدى المواطن والمستودعات امتلأت بالبضائع،

وأشار إلى أن الغرفة اقترحت أن الحل هو باتفاقيات التبادل التجاري وخاصة التصدير للدول المجاورة والصديقة.

التهديدات ليست حلا

وبما أن التجار لن يخفضوا الأسعار ولن يتوقفوا عن تهريب الدولار، فإن على الجهات الحكومية المعنية بالأسواق - وهي كثيرة - أن تلجأ إلى إجراءات للتخفيف من معاناة ملايين الأسر السورية. ولا يهم المواطن إن ارتفع أم انحفض الدولار إن كان دخله يؤمن مستلزماته الأساسية.

قلناها مرارا ونعيدها مجددا: إن التهديد ليس حلا ولن يلغي تأثير سعر صرف الدولار على ملايين السوريين. الحل الذي يهزم الدولار ويلغيه من حياة ملايين السوريين يكون ببيعهم سلة غذائية تحتوي على الاحتياجات الأساسية بأسعار رمزية جدا لأن دخلهم تحول بقوة الأمر الواقع إلى رمزي جدا!

خمسون عاماً وراء كرة القدم ولم نحصِّل إلا الخيبات.. تعالوا نسير خلف ألعاب أخرى!!

قانون الاحتراف.. الخبرة الإدارية والعلمية والرياضية شروط مطلوبة ولكنها غير متوفرة!!



"البعث الأسبوعية" ـ ناصر النجار

الإجراءات التي تتخذها القيادة الرياضية لتحريك عجلة النشاط الرياضي تبدو من الناحية النظرية جيدة، أما من ناحية التطبيق فقد تكون غير ملائمة أو ناقصة أو تحتاج إلى دعم عبر قانون يزيل الكثير من العقبات التي تعترض كل الإجراءات والتحركات.

وإذا وضعنا يدنا على الجرح دون أي مقدمات، فإننا نجد أن رياضتنا ينقصها الفكر الرياضي الاحترافي أولاً، والإمكانيات المالية والتقنية ثانياً، لذلك ومن الطبيعي أن يفشل أي قرار موضوع بشكل نظري دون أن ينظر للواقع قبل إصداره، وقبل أن نجد الكوادر القادرة على فهم القرارات وجاهزة للتطبيق.

وهذا الكلام نسوقه بمناسبة توزيع قانون الاحتراف على الأندية والاتحادات لدراسته قبل إقراره في المجلس المركزي ليصبح قانوناً نافذاً، وقبل الخوض في مواد القانون الاحترافي وبنوده - وبعضها جيد وبعضها الآخر غير ملائم - فإننا نسأل: هل نملك الإمكانيات لتطبيق الاحتراف؟ وما الضوابط التي تمنع اختراقه؟ وما السبل لحسن التطبيق؟

الخبرات الاحترافية

الموضوع الأول الذي يمكننا مناقشته يتناول الأشخاص الذين سيطبقون الاحتراف، وهل يملكون الخبرة والكفاءة لحسن التطبيق؟

الجواب، بشكل قطعي، أنه ليس لدينا الخبرات الكافية في كل الأندية والاتحادات القادرة على التعامل الحسن مع كامل بنود الاحتراف؛ والمشكلة أن بعض القائمين على المؤسسات الرياضية غير مدركين للتطور العلمي الحاصل في العمل الإداري، وبالتالي غير جديرين بمناصبهم لأن العمل الإداري بات اختصاصا وخبرة ومعنى هذا الكلام أنه ليس من الضرورة بمكان أن كل رياضي يصلح ليكون إدارياً، أو عضو مجلس إدارة، أو رئيس اتحاد، أو رئيس ناد، أو حتى رئيس لجنة.

وما نلحظه أن سياسة "هذا معي وهذا ضدي" ما زالت سارية المفعول في التعيينات، فالبحث دائماً عن الشخص المريح السهل هو الخيار الأنسب، بينما البحث عن الشخص الخبير الكفؤ أمر فيه صعوبة بالغة، وهذه أهم معضلة تعترض رياضتنا، لأن الخبراء قليلون؛ ومن جهة أخرى، لا نجد توجهاً حقيقياً لجميع الألعاب، فكرتا القدم والسلة هما المسيطرتان على الرياضة وتأكلان الأخضر واليابس، حتى الفتات لم تعد يترك لباقي الألعاب، والحجة الدائمة أن هاتين اللعبتين تحظيان بجماهيرية واسعة، كما تحظيان بدعم الشركات الاستثمارية والمعلنين، لكن القائمين على كرة القدم أو كرة السلة في الاتحادات أو الأندية افتقدوا عملية التوازن في كل شيء، ولعل الكثير منهم فهم أن الاحتراف عبارة عن إجراء عقود وصرف أموال فقط وفي هذا الموضوع، نجد أن العقود الاحترافية الناظمة للعلاقة بين المدربين واللاعبين من جهة، وبين الأندية من جهة أخرى، غير ملبية وناقصة، وفي الكثير من الأحيان لا تراعي مصلحة النادي أو مصلحة كرة القدم؛ والدليل على ذلك - وهو دليل عام ويشمل كل الأندية دون استثناء - أن جميع أنديتنا تعاني من العجز المالي، والعجز كبير جداً، وبمئات الملايين؛ والخبرة في العمل الإداري، تتطلب حسن الإدارة والقيادة وعدم وضع النادي على سكة الهلاك، ولدينا عدة أمثلة واقعية ومنطقية في هذا الجانب.

نادي الاتحاد - مثلاً - تعاقد مع مدرب صربي لكرة السلة، ومدرب برازيلي لكرة القدم، والموضوع على الشكل التالي: أغلب لاعبي الفريق يطالبون إدارة النادي بالمال، وبعضهم حتى الآن لم يقبض مقدم عقده، والنادي مديون لجميع لاعبيه، لذلك سألنا: إذا كان على النادي ديون تقترب من المليار، فلماذا تعاقدتم مع مدربين أجانب؟ ومن أين ستدفعون لهم؟ كان الأولى أن يسدد النادي ديونه قبل أن يعلي سقف العقود، وأن يعلي سقف التعاقد مع مدربين أجانب!! الجواب جاءنا أن هناك داعماً في بلاد الغربة سيتكفل بكل نفقات المدربين الصربي والبرازيلي، بحثنا أكثر فوجدنا أن هذا الشخص لن يدفع أي قرش للنادي!! وعليه نتساءل: هل من المنطق أن يحضر المدربان قبل أن يحضر المال؟ وما هو البند الذي يفرض على هذا الداعم دفع المال؟

فالنادي اليوم في ورطة كبيرة، وهذا أنموذج عن إدارة عاجزة عن قيادة النادي، ولا تملك حسن الإدارة والتخطيط والتنظيم.

فسخ العقود

المثال الآخر الذي نسوقه هو فسخ عقود المدربين واللاعبين، وهذا يتكرر في الموسم الواحد أكثر من مرة بكل ناد، وقليل جداً من الأندية يبقى محافظا على كوادره ولاعبيه، وعندما نقول إن النادي الفلاني أقال مدربه، فهذا يعني أن الإقالة ستتم بخمسة كوادر على الأقل، فصرنا مثل الدول الكبرى بكرة القدم، فكل مدرب له طاقمه الخاص به، وعندما نسمع أن نادياً بدّل أربعة مدربين أو خمسة، فهذا يعني أنه دفع عقوداً وأجوراً لأكثر من عشرين مدرباً في الموسم الواحد، ناهيك عن فسخ عقود لاعبين لأسباب مختلفة؛ والمشكلة هنا متعددة الجوانب، والحق في المحصلة الأخيرة على الأندية، لأن لجنة شؤون اللاعبين دائماً تفصل الخلاف لمصلحة اللاعب، ويضطر النادي للدفع عاجلاً أم آجلاً.

وهذا يدل على أخطاء كارثية تقع بها الأندية منذ اللحظة الأولى، وهي عدم اختيارها الصحيح للمدربين واللاعبين؛ ولو كانت هذه الإدارات متفهمة لعملها لما وقعت بمثل أخطاء الاختيار، والنقطة التي نريد تمريرها هنا أن هذه العمليات يدخل فيها "السمسرة" فبدل أن يكون في الأندية كشافون نجد أنها مملوءة بالسماسرة، والحق يقال: إن كل لاعبينا مكشوفون للعيان، فالاختيار لا يحتاج إلى جهود جبارة.

النقطة الثانية نجدها في العقود التي لا تضمن حق الأندية، فعندما يخالف اللاعب، أو يتمرد، أو يخرق الآداب والسلوك، لا نجد بالمقابل بنوداً تردعه.

النقطة الأخيرة هي بالفسخ نفسه، فاستعجال هذا الأمر وعدم التمهل فيه دون أسباب مقنعة أو بنود بالعقد تحمي النادي يجعل من عملية فسخ العقود يعود على النادي بالضرر المادي ومثل هذه العقول لا يمكنها أن تستوعب قانون الاحتراف، ولا أن تعرف كيف تتعامل معه، ونؤكد هنا أن المشكلة ليست دائماً بالقانون إنما بمن يطبقه.

خارطة الألعاب

أكثر من مرة تحدثنا عن خارطة الرياضة السورية وتوزيع الألعاب الرياضية على الأندية، بما يضمن حسن الانتشار بشرط الدعم المطلق للألعاب، والعناية بها، ووجود كامل المستلزمات وهذا ما تم في بعض المحافظات ومنها دمشق، لكن التطبيق العلمي على الأرض تجده خلبياً، والأندية بمجملها لا تعير هذه الألعاب أي أهمية أو دعم، ولدينا الكثير من الأدلة والأمثلة، فالبلياردو والسنوكر لعبة غير موجودة في دمشق إلا في ناديي المحافظة وبردى فعلياً، وهي موجودة بكل الأندية استثمارياً فقط، ولو أن الأندية هذه جمعت الاستثمار والرياضة لحققت المعادلة الرياضية الجيدة.

في ألعاب القوة، نجد أن العديد من الاتحادات الرياضية لا تقيم بطولات للأندية حتى لا تنكشف عورات هذه الرياضات، ففي بطولة مركزية لإحدى هذه الرياضات كانت مشاركة البيوت الرياضية الخاصة أكبر وأدسم من مشاركة الأندية الرسمية.

في نادي الوحدة، تتجه إدارة النادي لإلغاء لعبة المصارعة، علماً أن اللعبة لا تأخذ شيئاً من النادي، بل ولا تقدم الإدارة للاعبيها أية مساعدات أو تجهيزات، وإذا بحثنا في كرة القدم وحدها لوجدنا أنها كلفت هذا الموسم أكثر من مليار ليرة، والحصيلة حتى الآن صفر!!!

وهذا الأمر يقودنا إلى الاحتراف الرياضي في ألعاب القوة والألعاب الفردية، وعلينا أن نتساءل: كيف سيتم التعامل احترافياً مع هذه الألعاب؟

احتراف مدمر

النظرة الحالية للاحتراف والتطبيق الفعلي له نجده مدمراً للإمكانيات المالية، لذلك فإن العمل بالاحتراف لا يحتاج فقط إلى عقلية محترفة وإدارة عالمة بكل شؤون الاحتراف، وما يتضمن من استثمار وتسويق وعقود، بل يحتاج أيضاً إلى مال؛ ويحتاج المال إلى حسن التصرف، فالتدبير هو المطلوب والانفاق المحسوب هو ما يلزمنا؛ ووفق هذا الأمر، نجد حرجلة - النادي الذي لم يمض على تأسيسه خمس سنوات - صعد للدرجة الممتازة هذا الصعود الكبير حقق فيه انجازاً لافتاً للنظر، فلم يسبق لأي ناد أن يصل إلى هذه الدرجة في خمس سنوات، وهذه المكانة الشريفة والرفيعة التي حققها النادي دفع ضريبتها ثمناً باهظاً. فكيف ذلك؟

النادي عندما وصل إلى الممتاز كان موعوداً بدعم غير مسبوق من جهات رسمية واقتصادية وتجارية، لكن أغلب هذه الوعود ذهب أدراج الرياح، فعلق النادي وسط الطريق بعد أن تكلف على الفريق مبلغاً يفوق السبعمائة مليون ليرة، وأمامه التزامات ونفقات لا يعلمها إلا المقربون من النادي، وهو غارق حالياً بالديون وإذا كان موسمه الحالي على هذه الصورة، فكيف سيكون حاله في الموسم القادم إن بقي في الدرجة الممتازة؟ نعتقد أن هذا المال المصروف على فريق دخل مرحلة التهديد بالعودة إلى المكان الذي جاء منه لو صرف على غير كرة القدم لوجدنا أبطالاً يتوجون في بطولات عديدة بألعاب القوة والألعاب الفردية.

والمشكلة الظاهرة هنا أن الريف الجنوبي لدمشق يعج بفرق كرة القدم في مساحة لا تتجاوز الخمسة كيلو مترات، فنجد فيها فريق حرجلة والكسوة ومعضمية الشام وداريا وعرطوز وجديدة عرطوز، وكل هذه الفرق تمارس كرة القدم وتنفق عليها؛ وإذا بحثنا في العمق، لا نجد الأساس الذي يجب أن تقوم عليه كرة القدم، فأغلب لاعبي هذه الفرق من خارج المنطقة، وإذا جمعناهم لا نجد أنهم يشكلون فريقاً واحداً، وهنا لب المشكلة!! فما فهمناه من الاحتراف أن نحضر لاعباً من هنا ولاعباً من هناك، وندفع لهم العير والنفير دون أي جدوى فنية أو خطة مستقبلية؛ ولو عملت هذه الأندية على بناء كرة القدم من أبنائها وفق التسلسل الهرمي لربما وجدنا كرة قدم تعود على هذه الأندية بالنفع، وأهمها الاستثمار، وهو غائب عن بال كرتنا، وهو بسيط ويعتمد على بناء اللاعب وتربيته وتأهيله، ثم الاستفادة منه، إما باللعب ضمن الفريق أو البيع لفريق آخر، وهذا ما تعمل عليه كل أندية الظل في كل دول العالم من جهة أخرى - وللذكرى - فإن الاتحاد الآسيوي لم يوافق على تصنيف الفرق المحترفة إلا من خلال شروط حاسمة وحازمة حتى لا يقع النادي بمطبات كبيرة، منها المطب القانوني والمطب المالي، وما زلنا نحن نفتقد في الفرق الكبيرة هذه الشروط، فكيف بفرق الظل!؟

ما المطلوب؟

هذا الاستعراض لموضوع الاحتراف أخذنا أمثلته من أندية الدرجة الممتازة، ومن كرة القدم، لأنه أمر واقع وغير مفترض، ونخشى أن تكون القوانين الجديدة غير ملبية بحيث لا تتوافق مع الواقع والإمكانيات؛ ونحن ننظر بضرورة الاحتراف، على أن تكون له ضوابط منطقية، وهذا يجب أن يتم في الألعاب الأخرى، وخصوصاً الألعاب الفردية وألعاب القوة، فبلدنا مملوء بالمواهب والخامات، وهي تنتظر من يصقلها ويربيها ويعلمها، وتنتظر من يقول لها: المستقبل أمامكم، سنرعاكم، وسنحرص على ألعابكم، وستقدم لكم التجهيزات الرياضية، ومكافآت شهرية تضمن لكم التغذية الصحية والراحة النفسية والحياة الكريمة!!

الاحتراف يجب أن يتجه إلى تلك المواهب، في تلك الألعاب التي ترفع علم البلاد عالمياً، والتي تهبنا الاسم والرفعة والميداليات البراقة والإنجازات. خمسون عاماً مشينا وراء كرة القدم، ولم نحصل منها إلا على الخيبات!! تعالوا الآن نسير خلف الألعاب الأخرى، فربما بدل الله حال رياضتنا إلى أحسن حال.

نبض رياضي

موضة الألعاب الجديدة

«البعث الأسبوعية» ـ مؤيد البش

لا تكاد تخلو جلسة للمكتب التنفيذي من قرار يخص ما يسمى الألعاب حديثة العهد والتي لم نكن نسمع بها سابقاً، وهذه الألعاب التي يغلب عليها الجانب القتالي تنوعت وتفرعت حتى باتت لها لجان بعضها ملحق باتحادات ألعاب وبعضها الآخر بلجنة أعلى منها.

وهنا لا يمكن لنا إلا أن تحترم الشعبية التي تحظى بها بعض هذه الألعاب من قبيل المواي تاي لكن الملاحظة أن أغلبها لا تمتلك أي مقومات لتشكل لجنة أو أن تحظى بعدد ممارسين يرتقي لتنظيم بطولات خاصة بها، والأسوأ أن القائمين على مثل هذه النشاطات مقتنعون بأن وجود معجبين فيها أو محبين لها من الممكن أن يحملها لتنافس الرياضات التقليدية.

المشكلة الأكبر أن هذه الألعاب الوليدة أخذت تنظم دورات للمدربين وأغلبها برسوم مالية ولا ندري حقيقة ما هو مصير هؤلاء المدربين الجدد وأين من الممكن أن تستفيد رياضتنا منهم ومن لاعبيهم، كما لا يمكننا الجزم إن كانت هناك فائدة بالأساس لرياضة السور أو النسور مثلاً..!

وبنظرة موضوعية للأمر من زاوية أخرى نجد أن بعض الألعاب المعترف بها أولمبياً تشكو من قلة الكوادر رغم عراقتها وإنجازاتها، إلى جانب شكواها الدائمة من قلة ذات اليد وعدم قدرتها على تمويل نشاطاتها ومتطلبات لاعبيها، فكيف لرياضتنا أن تتبنى ألعاباً مغمورة لا طائل منها وألعابها التقليدية تستمر بالمعاناة.

تحديد المسؤوليات في هذا الإطار ومعرفة الخطط المستقبلية يبدو صعباً للغاية، في خضم غياب تصور كامل وحقيقي عن مستقبل هذه الألعاب من القائمين عليها واقتناع بعض أعضاء المكتب التنفيذي بهذه الرياضات التي تعاني على قلة ممارسيها من خلافات على الأحقية في تولي المناصب.

كل ما سبق يجب أن يصب في اتجاه واحد ألا وهو أن يكون هناك إستراتيجية واضحة المعالم لرياضتنا، يتم وضعها من قبل رؤساء المكاتب في المكتب التنفيذي بدلاً من انتظار رئيس الاتحاد الرياضي لتوجيههم، وهذا سيتطلب منهم أن يعرفوا طريقة التعامل مع ألعابهم بشكل موضوعي وأن يحددوا بوصلة عملهم وهدفهم القريب والبعيد عوضاً عن توجيه جهودهم نحو ألعاب منسية في بلدان نشأتها.

ختاماً إذا كنا لمنا المكتب التنفيذي على نظرته لهذه الألعاب فإن المطلوب أن يبتعد المروجون لرياضات «الموضة» عن العمل تحت شعارات واهية، فالأكيد أن الرياضة وتطويرها لن يتم عبر هذه الاختصاصات الاستعراضية التي تستهلك ولا تنتج

«التحكيم الرياضي».. ضرورة ملحة للقضاء على الخلافات والتخلص من «تبويس الشوارب»!!

«البعث الأسبوعية» ـ عماد درويش

باتت رياضتنا بحاجة لتغير في قوانينها وأنظمتها لتواكب التطور الرياضي العالمي، خاصة وأن أنديتنا تعيش في ظل التضخم المالي الراهن ضائقة مالية مستمرة، نتيجة لزيادة المصروفات عن قيمة الإيرادات، والعجز عن الحصول على موارد مالية جديدة تفوق ريع المباريات والدعم المقدم من الاتحاد وجوائز البطولات، لاسيما في ظل تواضع قيمة عقود الرعاية والتسويق التي توضع على قمصان اللاعبين.

وفي هذا السياق، نجد أن رياضتنا تعيش الأزمة بمعطيات مختلفة عن غيرها من الدول، لناحية فض الخلافات التي تجري ما بين الأندية واللاعبين والمدربين على حد سواء، ففي كل موسم تتكرر الخلافات بين الأندية واللاعبين والمدربين، بسبب تأخر الأندية في صرف الرواتب الشهرية وجزء من مقدمات العقود، الأمر الذي يجعل الكثير من المدربين واللاعبين يغيبون عن التدريبات، أو يهددون بالغياب عن المشاركة بالمباريات الرسمية، وهو ما يجري حاليا بالكثير من الأندية - الفقيرة منها والغنية - ويجعل الأندية ترزح تحت ضغط اللاعبين والمدربين، كون الوضع غير مناسب بالوقت الحالي لتأمين جزء يسير من المال لصرفه على لاعبيها.

هذه النزاعات تتطلب من القائمين على رياضتنا إيجاد الطرق المناسبة لفضها بشكل قانوني بعيداً عن «تبويس الشوارب»، ومع الأسف فهو الذي يجري حالياً، وهو ما أشار إليه الكثيرون من الغيورين على رياضتنا وبأكثر من موقف.

كل ذلك وغيره من القضايا يؤكد أن رياضتنا باتت بحاجة لتأسيس محكمة رياضية أسوة بالمحكمة الدولية «كاس» ليتم فض القضايا التي ترفع بالعشرات من قبل اللاعبين والمدربين في كل موسم، سواء أكان بكرة القدم أم السلة أم غيرها من الألعاب، سيما وأن الصورة تبدو قاتمة في ظل تفشي ظاهرة فسخ العقود بالتراضي، والأصح أن يكون هناك محكمة رياضية تكون معنية بإعطاء كل ذي حق حقه (حق النادي أو اللاعب أو المدرب.. إلخ).

بعيدة التحقق

وبالنسبة لرياضتنا، فما زالت مسألة وجود محكمة رياضية بعيدة بالمدى المنظور، لكنها مطلب ملح لكافة الرياضيين، سيما مع انطلاق الاحتراف واتساع الرقعة الرياضية، وكثرة التعامل بين اللاعبين والأندية من خلال عقود أو اتفاقات قانونية، والعقود الموقعة في الاتحادات الرياضية أو جلب لاعبين لأندية معينة، فقد باتت الحاجة ملحة لوجود جهة يمكن اللجوء إليها لفض المنازعات الرياضية، وتكون قادرة على تطبيق القوانين دون تحيز لفئة على حساب أخرى، وبحيادية تامة، وتعتمد على قوانين واضحة وشفافة تعطي كل ذي حق حقه، وتعاقب من يستحق العقاب، من لاعب يتمرد على فريقه إلى أندية تماطل في دفع مستحقات لاعبيها إلى تعصب أعمى يتسبب في الإخلال بالمباريات.

المحكمة يجب أن تشكل بمقر لها، أو «هيئة تحكيم، أو أكثر، «للنظر في المنازعات الرياضية تكون برئاسة أحد القضاة بدرجة مستشار على الأقل، وتختص الهيئة بالفصل في المنازعات المتعلقة



بالأنشطة الرياضية والتي يتفق ذوو الشأن على عرضها عليها، سواء كانت هذه المنازعات بين الهيئات الرياضية، أو أي شخص طبيعي أو اعتباري له علاقة بموضوع النزاع.

فض النزاعات

عضو المكتب التنفيذي للاتحاد الرياضي العام علاء جوخه جي أكد لـ «البعث الأسبوعية» أن رياضتنا بالفعل بحاجة لوجود محكمة رياضية تقوم على حل المشاكل المتعلقة ما بين الأندية واللاعبين والمدربين، وهناك فكرة بإنشاء مثل هذه المحكمة، ونحن في المكتب التنفيذي في مراحل متقدمة من إنشاء هذه المحكمة، مع العلم أن هناك بنداً في اللجنة الأولمبية بشأن حالة مشابهة للمحكمة الرياضية - لكنها غير شرعية - تعتمد على جهود خاصة يتم من خلالها حل المشاكل بشكل ودي؛ وهناك الكثير من المشاكل جرت في رياضتنا وتم حلها بتلك الطريقة لكننا نأمل أن نصل لإنشاء محكمة رياضية سورية قريبة من المحكمة الدولية لكي يأخذ كل ذي حق حقه.

من جهتها، أشارت لاعبة منتخبنا الوطني لكرة السلة، المحامية زينة يازجي، إلى أنه لابد من وجود محاكم رياضية متخصصة في سورية لفض النزاعات الرياضية بين اللاعب والنادي، وبالعكس، من حيث المستحقات المالية للاعبين وحقوق النادي عليهم، أو العديد من القضايا الأخرى مثل توقيع اللاعب لعقدين مع ناديين مختلفين وبأوقات مختلفة؛ وهذا ما أدى إلى النزاع بين الناديين ليأتي الحل عبر جهود شخصية للقائمين على اللعبة وإدارة الأندية؛

والموضوع هنا يتعلق بأن المحاكم المدنية والجزائية في سورية من غير الممكن أن تكون أداة الفصل بالنزاعات الرياضية لأنها بعيدة كل البعد عن الأجواء الرياضية وعن قوانينها؛ وبالأصل، القوانين الرياضية داخلية ومتعلقة بالنظام الداخلي لكل دولة؛ والنظام الرياضي الداخلي عندنا يختلف عن بقية الدول المجاورة لنا على الأقل؛ لذلك إذا لم يكن هناك محاكم رياضية مختصة بالفصل بهكذا منازعات فسنبقى غير قادرين على تطبيق قوانين الاحتراف، كون هناك عقد ملزم بين النادي واللاعب لـ «الطرفين».

حالات طارئة

وبينت يازجي أن ما يجري حالياً هو أن هناك كثيراً من حالات النزاع ما بين اللاعبين والأندية، مثل الاستحقاقات المالية أو الخلاف في شروط معينة بالعقد أو فسخ العقد، الأمر الذي جعل الاتحاد الرياضي العام يتدخل لحلها. لكن، مع الأسف، جاء الحل بطرق ودية «أي بالمونة»، أما في حال وجود قضاء رياضي مختص فالأمور ستتغير، ولن نجد عند ذلك المخالفات التي نراها حالياً من قبل اللاعبين أو إدارات الأندية تجاه أي شخص، لأنه يوجد قوانين ومحاكم مختصة مرجعيتها خاصة، بما مثل الشروط الجزائية أو العقوبات، ولن يكون أحد مضطراً - عندها - للاجتهادات أو للاختراعات بالقوانين، ويغدو هناك قانون خاص بالمحكمة الرياضية المعنية بفض النزاعات.

وتابعت يازجي: أما لماذا لا يوجد عندنا محكمة رياضية فلا أدري ما هو السبب؟ خاصة وأن رياضتنا قبل الأزمة كانت في قمة التطور والرقي والاحتراف، وكنا متقدمين على الكثير من الدول، إلا أن الظروف أثرت على كل مفاصل المجتمع، بما فيها الرياضة التي هي جزء من هذا المجتمع؛ ومع تفشي وباء كورونا، والتضخم المالي، أعتقد أن الوقت غير مناسب الآن لتأسيس محكمة رياضية.

وختمت بالقول: الاحتراف عندنا لم يصل حد النضوج مثل بقية دول العالم، وكل ما يجري هو معالجة نظام احتراف هو أساساً غير ناضج وغير سوي حاليا، وهو بحاجة للوقت ليأخذ شكله المطلوب، ولوجود محاكم مختصة لـ «نفضه» من وضعه الحالي، ولتعديل نظام الاحتراف لإعطاء كل ذي حق حقه.

محكمة مستقلة

وهنا، لابد من ذكر أن محكمة التحكيم الرياضية الدولية هيئة شبه قضائية دولية أنشئت لتسوية النزاعات المتعلقة بالرياضة، ويقع مقرها الرئيسي في مدينة لوزان السويسرية، وقد أنشئت عام ١٩٨٤، وتوجد لديها محاكم في مدينتي نيويورك بالولايات المتحدة وسيدني بأستراليا، فضلا عن محكمة مؤقتة يجري إنشاؤها في المدن المستضيفة للألعاب الأولمبية خلال فترة إقامة الألعاب، وترتكز فكرة إنشائها - حسب الموقع الرسمي للمحكمة - على إيجاد «هيئة قضائية للتسوية المباشرة أو غير المباشرة لقضايا مرتبطة بالرياضة، وكذا خلق سلطة متخصصة قادرة على البت في النزاعات الدولية من خلال مسطرة مرنة وسريعة وغير مكلفة»، وتحظى قراراتها التحكيمية باحترام المؤسسات الرياضية في العالم.

وتتميز محكمة التحكيم الرياضية الدولية بأنها مستقلة عن أي منظمة رياضية، وتابعة إداريا وماليا للمجلس الدولي للتحكيم الرياضي، وصادقت اللجنة الأولمبية الدولية على قانونها الأساسي الذي دخل حيز العمل في عام الإنشاء نفسه، وتضم المحكمة حوالي ثلاثمائة محكم ينتمون لـ ٨٧ دولة، ويتم اختيارهم لمعرفتهم المتخصصة بالتحكيم وقانون الرياضة.

آلية القضاء

عموماً، يظل اللجوء إلى هذه المحكمة أمرا اختياريا مرتبطا بإرادة طرفي النزاع، حيث لا يمكن تقديم أي قضية أمامها إلا إذا كان هناك «اتفاق تحكيم بين الطرفين المتنازعين يحدد اللجوء إليها ويعترف بالولاية القضائية لها»، لكن من الناحية العملية نجد أن جميع الاتحادات الأولمبية الدولية واللجان الأولمبية الوطنية للدول اعترفت بالولاية القضائية للمحكمة في حل المنازعات، وتحظى قراراتها التحكيمية بقوة إنفاذ الأحكام ذاتها الصادرة عن المحاكم العادية، ويمكن الطعن في قراراتها لدى المحكمة العليا الفدرالية السويسرية، لكن نادرا ما تنجح تلك الاستئنافات، وإذا ما نجحت فغالبا ما يكون ذلك مقتصرا على المسائل الإجرائية دون أن يمس جوهر النزاع، ويقدم التحكيم لجنة مكونة من ثلاثة محكمين، يجب أن يكونوا مستقلين عن أي طرف، ويكون لطرفي النزاع في حالة الإجراءات العادية الاتفاق على القانون الواجب التطبيق على القضية موضوع النزاع؛ وفي حالة فشل مثل ذلك الاتفاق يطبق القانون السويسري، وتستغرق مدة التحكيم عادة ما بين ٦ و١٢ شهرا، أما في حال إجراءات الاستئناف فيجب أن يعلن الحكم في غضون ٣ أشهر بعد نقل الملف إلى هيئة التحكيم؛ وفي الحالات العاجلة، وبناء على الطلب، فقد تأمر المحكمة الدولية في وقت قصير جدا باتخاذ تدابير مؤقتة، أو تعليق تنفيذ قرار ضدها.

الريمونتادا.. من مصطلح لغوي إلى صيحة تقلب الموازين في كرة القدم!!

«البعث الأسبوعية» ـ سامر الخيّر

تستقطب كرة القدم العدد الأكبر من المتابعين حول العالم، ولا سيما بطولاتها الكبرى، وأيّ تفصيل يخصّ اللعبة يصبح «صيحة» يقلدها الملايين حول العالم، خاصة ما يتعلق بأسلوب حياة النجوم وأخبارهم؛ وفي السنوات الأخيرة، حتى المصطلحات التي يستخدمها الإعلاميون أو المذيعون في وصف حدث كروي، أو إنجاز في مباراة ما، تصبح الأكثر تداولاً على وسائل التواصل وفي المقالات الرياضية وموضوعنا اليوم حول أحد أشهر المصطلحات في عالم الساحرة المستديرة، «الريمونتادا»، الذي صار مصاحباً تقريباً لكل مباراة إياب خسرت ذهابها إحدى الفرق الكبرى؛ ومع عودة منافسات دوري أبطال أوروبا في دوره الثاني، عاد هذا المصطلح إلى الصدارة، فما معنى الريمونتادا؟ ومتى بدأ استخدامها في كرة القدم؟ وما هي أشهر المباريات التي شهدت ريمونتادا تاريخية؟

لغةً، هي كلمة إسبانية تعني التعافي أو العودة، وكانت تستخدم بشكل كبير في الحروب، ووصف المعارك الأهلية، ومعارك الاستقلال بين القرنين ١٦ و١٩ ميلادي، حينما كان إقليما الباسك وكاتالونيا يحاولان الاستقلال عن الحكم الملكي الإسباني، وفي كرة القدم يستخدم في حال كان الفريق متأخراً في النتيجة، لكنه يرجع فيقلب الطاولة والأمور على خصمه ليحقق الفوز.

تاريخياً، تم استخدام الكلمة للمرة الأولى في إسبانيا، يوم ٢١ كانون الأول ١٩٨٣، عندما واجه المنتخب الإسباني نظيره المالطي، وكان بحاجة إلى الفوز بفارق ١١ هدفاً من أجل التأهل إلى «يورو ١٩٨٤» من أجل التفوق على المنتخب الهولندي بفارق الأهداف والتأهل إلى النهائيات. وبالفعل، تمكن لاروخا، بقيادة ميغيل مونوز، من الفوز ١٢/ ١، وكان الهدف رقم ١٢ قد سُجل قبل نهاية الوقت الأصلي بست دقائق، لكن بعد ذلك اختفى لسنوات قبل أن تعيده إلى الحياة صحيفة «سبورت» الكاتالونية المشهورة بعد هزيمة نادي برشلونة الإسباني أمام ميلان الإيطالي في ذهاب ثمن نهائي دوري الأبطال ٢٠١٣، بنتيجة هدفين دون رد. وبالفعل، استطاع برشلونة العودة وتحقيق الريمونتادا بالفوز برباعية نظيفة في مرحلة الإياب.

لكن الريمونتادا لم تأخذ شعبيتها التي نعرفها اليوم حتى عام ٢٠١٧، بعد الواقعة الشهيرة بين برشلونة أيضاً، ولكن هذه المرة أمام باري سان جيرمان الفرنسي في دوري الأبطال أيضاً، عندما تمكن رفاق ميسي من تحقيق عودة مستحيلة في النتيجة بعد أن تغلب على الفريق الفرنسي في كامب نو بنتيجة ٦/ ١، وهو ما لم يتخيله أحد قط بعد الخسارة في حديقة الأمراء بنتيجة كبيرة للغاية وبرباعية نظيفة ولم يتوقف الموضوع عند الكلام المحكي والصيحات، فقد استطاعت الريمونتادا اقتحام صفحات معجم «لاروس» الفرنسي الشهير لتصبح كلمة فرنسية رسمياً بدءاً من هذا العام.

ويعدّ فوز نادي ليفربول الإنكليزي على ميلان، عام ٢٠٠٥، أحد أشهر الريمونتادا في التاريخ، بعد أن كان متأخراً في الشوط الأول ٣/ ٠، لتنتهي المباراة في شوطيها الأصليين بالتعادل ٣/ ٣، ومن ثم الفوز بالبطولة في نهاية المطاف من ركلات الترجيح. لكن أكثر المباريات الملحمية كانت في العام ٢٠١٩، مثل ريمونتادا ليفربول ضد برشلونة حينما فاز برشلونة في المباراة الأولى بنتيجة ٣/ ٠، تبعها فوز ليفربول على أرضه ووسط جمهورة بنتيجة ٤/ ٠، وحقق ريمونتادا قوية على ناد من أقوى الأندية في العالم، بالإضافة إلى ريمونتادا توتنهام الإنكليزي ضد أياكس الهولندي حينا خسر توتنهام على أرضه بنتيجة ١/ ٠ واستطاع العودة على استاد يوهان كرويف أرينا.

أما أعظم ريمونتادا في التاريخ فهي مباراة تشارلتون وهدرسفيلد الإنكليزيين، موسم ١٩٥٨. وبالرغم من أنها غير معروفة لغير عشاق كرة القدم الكبار، لكن الأحداث التي شهدتها تجعلها الأعظم دون منازع، حيث انتهى اللقاء بفوز تشارلتون ٧/ ٦، فقد استضاف تشارلتون منافسه هدرسفيلد ضمن مباريات دوري الدرجة الثانية الإنكليزي وبعد تعرض ديريك أوفتون قائد أصحاب الضيافة للإصابة، وعلى اعتبار أن التبديلات وقتها غير مسموح بها، أكمل الفريق بعشر لاعبين، لينجح هدرسفيلد في إحراز خمسة أهداف متتالية، فيما سجل تشارلتون هدفاً وحيداً وذلك حتى الدقيقة ٢٨ فقط على انتهاء المباراة، لتنقلب الأمور ويدخل اللاعب سامرز التاريخ بإحرازه وحده خمسة أهداف، وبذلك أصبح هدرسفيلد الفريق الإنكليزي الوحيد الذي أحرز ستة أهداف في مباراة، وتعرض للخسارة في ليلة استثنائية لتشارلتون.

تراث حداثي وصوت أوبّريتي ملوّن بالتأمل والإصرار والامتداد حتى ما بعد الصمت

«قمر حلب» لم يترجّل.. وداعات كثيرة ستبقى مفتوحة في رحيل ميادة بسيليس

"البعث الأسبوعية" ـ غالية خوجة

حلب تفيض بثروة موسيقية استثنائية، ومن الموسيقيين والفنانين المبدعين نذكر: قدري دلال، صباح فخري، ميادة الحناوي، صبري مدلل، الشيخ حسن حفار، شادي جميل، وصولاً إلى ميادة بسيليس التي تموّج صوتها مع ١٤ ألبوم غنائي، وعبرتْ بنا بمراكب تراثها الحداثي وخصوصيتها من أوبريت ملكة القطن والثلج إلى كذبك حلو والمريميات ويا غالي ويا طيوب، وما بينها من تنويعات مثل المسلسل التلفازي المميز "حارس القدس".

لقد جلجل صوت ميادة بسيليس، الشفاف والقوي، لينتشر كشبكة من الضوء في الأفئدة، لتظل تقرع "أجراس بيت لحم"، وتظل تغني لحلب والشام والقدس والحب والنصر والوطن "شوفو بلدي". صوت بسيليس المشع بالحيوية يرفرف في الشغاف، بمساحاته الحالمة، المتفائلة، الدافئة، وخصوصيته الجاذبة للأوبريتيات والتراثيات والكلاسيكيات والطرب الأصيل المعاصر، منتوجها الفني يتميّز بعدة عناصر محورية، أهمها شخصيتها ذات "الكاريزما" العفوية، الواضحة الملامح، القادرة على التعبير عن المعنى الوجداني بمستوياته الرومانسية والكاشفة والمتحدية والمنتصرة، لتشمل بجاذبيتها الصوتية كلّ "أنا" للمتلقي عبر الوسائط والوسائل المختلفة المسموعة والمرئية والالكترونية. لكن، ما أهمّ عناصر المعادلة الجمالية لهذا الصوت الطربي الخرافي؟

السحر التناغمي سرّ الجمال التفاعلي

لم تبتعد بسيليس عن الناس وهمومهم وأحلامهم ونبضاتهم، غنّتْ لهم وعنهم، فكانت مواضيع أغانيها تلامس اليوميات بتفاصيلها، وتدفئ بوجدانها الراقي وجدان الأجيال كافة، فغنت التراث والفلكلور والمعاصر والفن الذي لا يغادر، غنت للوطن وفاح صوتها بين مدينتها حلب، وأزهر مع ياسمين دمشق، وعطّر العالم العربي.

اتسمت أغانيها بأحاسيس المعاصرة بأسلوب حضاري مثقف، وحتى عندما استخدمت كلمة "كذبك" فإنها منحتها بعداً جمالياً، وحصدت هذه الأغنية، عام ١٩٩٩، الجائزة الذهبية كأفضل أغنية عربية في مهرجان القاهرة، كما حصدت جائزة الأورنينا في مهرجان الأغنية السورية الرابع، عام ١٩٩٨.

سيمفونية الروح وكثافة الشفافية

جمعت أغاني بسيليس سحراً مميزاً بين معادلة الكلمة واللحن، وقدمت مع صوتها ثالوثاً دلالياً خاصاً؛ كما تنوع منطوقها بين اللغة العربية الفصحى واللهجة المحكية، ما جعل لصوتها حركية محورية تنبع من الروح وتراتيلها لا سيما في "مريميات"، وتتسع لتكون الفضاء المتشكّل مع خلفية الصوت الأوبّريتي وأثره الملوّن بالتأمل، والإصرار والامتداد حتى بعد الصمت.

لمعت تجربة بسيليس مع الموسيقار سمير كويفاتي، زوجها، وشكّلت حالة فنية مختلفة، من الممكن أن تكون بوصلة لكثير من العائلات الفنية؛ أمّا على الصعيد الجمالي، فكان صوتها منارة لمتحولات اللحن المتمازج بين التراث الشرقي والمعاصر، ولمسات من التراث الغربي والمعاصر، مثل بعض التوزيعات الحديثة المناسبة لبعض الجمل الموسيقية الكلاسيكية، وبعض الملامح المتناغمة مع "الجاز" و"البلو"، إضافة إلى كلمات الأغاني التي تبثّ رسائل فكرية ووجدانية ووطنية ونقدية؛ وبإمكاننا إضافة توجيه البُعد النفسي والاجتماعي من الحيّز الرمادي والأسود إلى الحيّز المتفائل المشع بلحظة جديدة من التعامل مع الذات والأحداث والآخرين، لتشكّل هذه العوامل الفنية بتفاصيلها ومجملها سيمفونية الروح المتصاعدة إلى كثافة الشفافية.

فنها رسالة لمختلف الحالات والأزمنة

غنت بسيليس للعديد من الشعراء ومنهم الشاعر الحلبي سمير طحان، والشاعر صفوح شغالة الذي قال لـ "البعث الأسبوعية": ميادة بسيليس فنانة ملتزمة، قدمت فناً راقياً، سيحيا أجيالاً وأجيالاً، وقدمت مع زوجها الموسيقار سمير كويفاتي مدرسة فنية رفيعة، تحمل رسالة وتبثها لكافة الحالات والأزمنة، وهذا هو الفن الذي يستمر. قدمت أعمالاً رائعة بصوتها الملائكي الرائع، وأحب من أغانيها "يا طيّوب"، و"كذبك حلو".

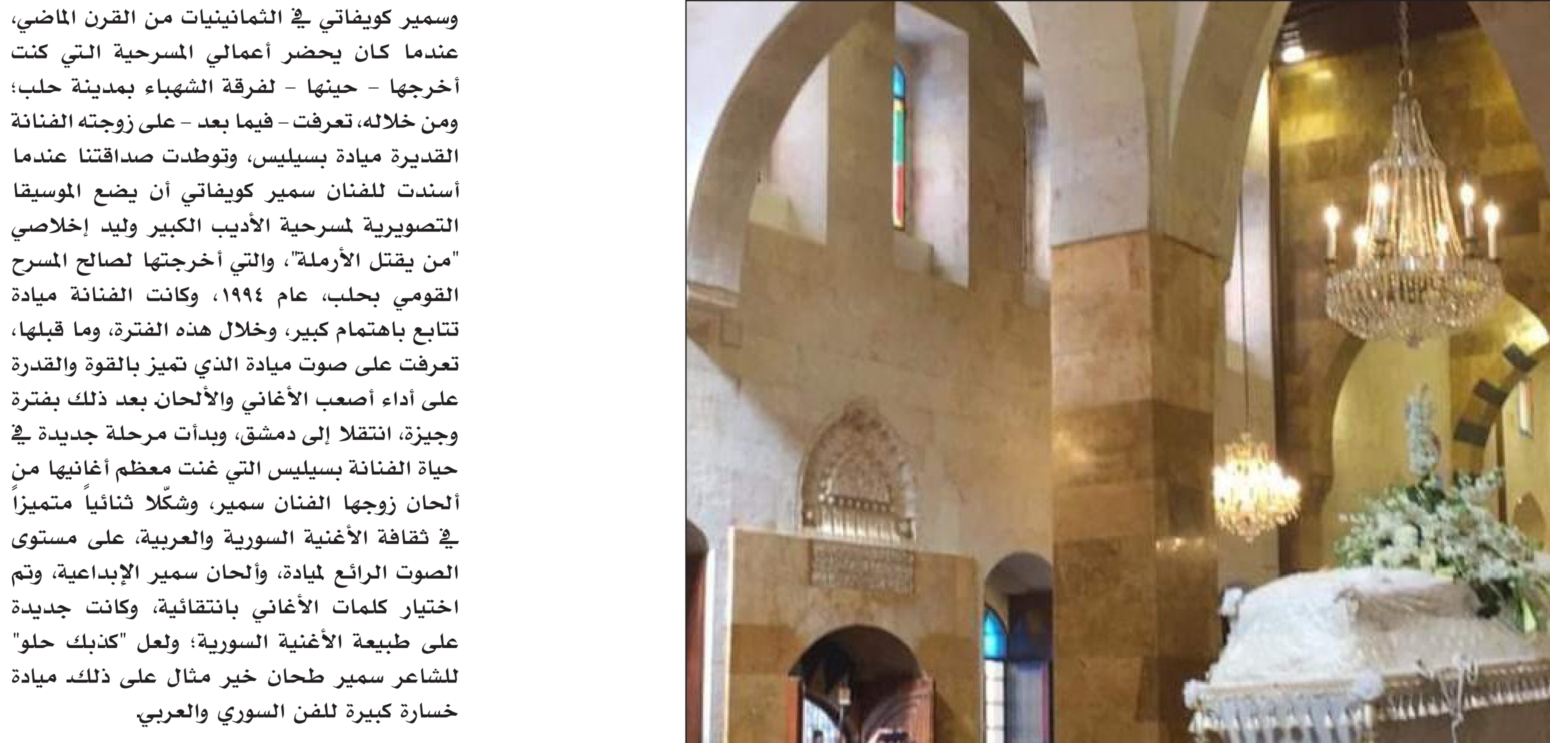
وأضاف: تعاملت معها بأغنية وطنية وحيدة "شوفو بلدي"، من تأليفي، وكانت هذه الأغنية افتتاحية مهرجان حلب عاصمة للثقافة العربية، العام ٢٠٠٨، ولدينا معاً أغنية مشتركة لم تكتمل بسبب مرضها وهي من ألحان سمير كويفاتي.

حياتها موسيقا لأوبريت كلامي

بدأت مسيرتها الفنية منذ ربيعها التاسع، من خلال إذاعة حلب التي سجلت فيها، عام ١٩٧٦، دور "أصل الغرام"، وكانت الأولى على الهواة حينها، وقدمت عدة أوبريتات، بدءاً من عام ١٩٧٨، و"عروس القلعة".

وتوالت ألبوماتها الغنائية منذ العام ١٩٨٦، بدءاً من ألبوم "يا قاتلي بالهجر" من الفلكلور السوري القديم، وقدمت الكثير من الحفلات داخل سورية وخارجها، وأحيت العديد من الحفلات، منها افتتاح قناة "الفضائية السورية"، و"مهرجان الأغنية السورية" الثاني، عام ١٩٩٥، و"مهرجان المريمية" في حمص، و"مهرجان بصرى"، وعلى مدرج قلعة حلب، وساهمت في تقديم "الليلة السورية" في دار الأوبرا المصرية، وأقامت حفلتين في دار أوبرا مدريد الإسبانية، وحفلات أخرى، منها في قصر الأونيسكو في بيروت، وفي لوس أنجلوس، وفي مجمع قصر الفن الممتع في سان فرنسيسكو، وفي المسرح البلدي في تونس "مهرجان المدينة".

نتيجة تجربتها الفنية المتميزة والهادفة والجادة والمتمحورة حول الإنسان والإبداع، نالت العديد من الدروع والتكريمات والجوائز، منها الدرع التذكارية عن أغنيتها "حنين" في مهرجان عيد الأم بعمّان الأردنية، وحصلت أغنيتها "خليني على قدي" على أفضل لحن في مهرجان الأغنية السورية، بينما نالت جائزة الأورنينا الذهبية عن عدة أغانٍ، منها "حنين"، "يا غالي"، و"هوى تاني" التي حصدت، أيضاً، جائزة أفضل أغنية مصورة في البحرين كـ "فيديو كليب"، ولا ننسى كيف حصلت أغنيتها "يا رجائي" الجائزة الأولى في مهرجان الموسيقا العربية بالدار البيضاء بالمغرب.



جديدة على طبيعة الأغنية السورية

وعن تجربة ميادة بسيليس الطربية ومنتوجها الفني، وأهم ما يميزها صوتاً وكلمات وألحاناً، وأغنيتها الأكثر تأثيراً على القلب، يقول الكاتب والمسرحي د. وانيس بندك: تعارفنا أنا وسمير كويفاتي في الثمانينيات من القرن الماضي، عندما كان يحضر أعمالي المسرحية التي كنت أخرجها – حينها – لفرقة الشهباء بمدينة حلب؛ ومن خلاله، تعرفت – فيما بعد – على زوجته الفنانة القديرة ميادة بسيليس، وتوطدت صداقتنا عندما أسندت للفنان سمير كويفاتي أن يضع الموسيقا التصويرية لمسرحية الأديب الكبير وليد إخلاصي "من يقتل الأرملة"، والتي أخرجتها لصالح المسرح القومي بحلب، عام ١٩٩٤، وكانت الفنانة ميادة تتابع باهتمام كبير، وخلال هذه الفترة، وما قبلها، تعرفت على صوت ميادة الذي تميز بالقوة والقدرة على أداء أصعب الأغاني والألحان بعد ذلك بفترة وجيزة، انتقلا إلى دمشق، وبدأت مرحلة جديدة في حياة الفنانة بسيليس التي غنت معظم أغانيها من ألحان زوجها الفنان سمير، وشكّلا ثنائياً متميزاً في ثقافة الأغنية السورية والعربية، على مستوى الصوت الرائع لميادة، وألحان سمير الإبداعية، وتم اختيار كلمات الأغاني بانتقائية، وكانت جديدة على طبيعة الأغنية السورية؛ ولعل "كذبك حلو" للشاعر سمير طحان خير مثال على ذلك. ميادة خسارة كبيرة للفن السوري والعربي.

الفن النبيل

الشاعر محمد حجازي، مدير دار الكتب الوطنية، رأى أن الفنانة الراقية بسيليس كانت أكثر من التزم بالفن الحقيقي الهادف كلمة ولحناً، كما أنها أثرت الفن السوري، وارتقت به إلى مصاف الفن النبيل، وسنظل نذكر أغنياتها "ما في شي مستاهل" التي تبعث التفاؤل والأمل، وأغنيتها الراقية "كذبك حلو" التي تعبر بشفافية مطلقة عن حميمية العلاقات الإنسانية وعمق جمالها، والعتب الخفي بين المحبين وبصوت ملائكي قلّ نظيره، ولن يجود الزمان بمثله حتى وقت طويل.

دهشة الغناء

أحلام استانبولي، معاون مدير الثقافة بحلب: سنذكر جيداً ما قدمته لنا ميادة بسيليس أكثر مما أخذته من هذه البلاد، أكثر بكثير، ووداعها سيكون شاهداً على سنوات طويلة كانت تدرب فيها دهشتنا على الهدوء والمفاجأة، وتعطينا أسباباً مدهشة للغناء. وداعات كثيرة ستبقى مفتوحة في رحيل ميادة بسيليس، سوف تستعيد صورة المرأة وهي تنهض بقدرتها الفريدة على الغناء، كان لأغنيتها "كذبك حلو" وقعها في حياتي وتأثيرها في مشاعري بشكل كبير. وداع وحب وسلام لروحها الجميلة بسيليس سيدة هدوئنا النسبي، صانعة قدرتنا على التمهل، بصوتها التأني الذي لا يمهلنا كثيراً قبل أن ينتشر في ذاكرتنا كحاسة إضافية.

صوتها لوحات تشكيلية

التشكيلي إبراهيم داود، مدير المعارض باتحاد الفنانين التشكيليين بحلب: بسيليس تمثل البلد، وكل من يمثل البلد يمثلنا من طرب وفن وأدب. تميز صوتها الطربي بالتفوق على الألحان والكلمات، لأن صوتها يجعلنا نحس بالروح، وهذا الصوت يمنحنا لوحات تشكيلية وجدانية ووطنية.

مبدعة لم تنصف

"أيقونة حلب"، هكذا بدأت الإعلامية عهد بريدي من "فريق مهارات الحياة"، مبدعة لم يتمّ إنصافها، هي لم تتخلّ عن طيبتها وبساطتها ولهجتها الحلبية المحببة، وهذا ما يميزها إضافة لعشقها لحلب، ولتنويعها في الغناء. فعلاً، "كل شي رايح نيالو الرضيان"، وليتها فعلت مثل أغنيتها "يا قمر حلب هدّي"، لكنها أسرعت في الرحيل!!

المحبة الشجية

وبحزن يلامسنا جميعاً، أكدت الشاعرة والإعلامية إيمان كيالي: رحلت وتركت زهوراً عطرة في تاريخ حلب الفني، فنانة ذات صوت شجي وصداح، طلبت العلا ونالت ما تتمنى، كل أغنية قدمتها من روحها، غنت للأم والحب والشام والوطن، وأحبها أهالي حلب، رحلت جسداً وبقيت روحاً.

وتابعت: قدمت أول أوبريت غنائي "ملكة القطن والشمس"، عام ١٩٧٨، وشاركت في برنامج "حكايات عمو رضوان" في إذاعة حلب، لتتوالى أعمالها ومشاركاتها الفنية في العديد من المهرجانات المحلية والعربية والدولية، كما أدت العديد من أغاني وشارات المسلسلات التلفازية، ومنها "حارس القدس"، و"أبناء القهر"، وأخوة التراب"، و"أيام الغضب".

وأضافت كيالي: فنانة رائعة، غنت عن الحب فكانت الحبيبة، غنت عن الطيبة لأنها من أطيب الناس، وغنت عن الأم فكانت من أروع الأمهات، وهي صديقة صدوقة، رحمها الله، رحلت وهي توصينا: "ما في شي مستاهل ما في شي حرزان".

الجنازة تغني للحياة

لم يكن الوسط الفني والثقافي يتوقع فاجعة بسيليس التي عانت من مرض السرطان طيلة ١٠ سنوات، وكانت حلب على موعد مع قداس رحيلها، يوم الجمعة ١٩ آذار، وتشييع جنازتها في كاتدرائية أم المعونات للأرمن الأرثوذكس بالتلل، بحضور عائلتها وأصدقائها ومحبيها وحشد كبير من الفنانين والفنانات، منهم أيمن زيدان، أمل عرفة، غسان مسعود، سلاف فواخرجي، وائل رمضان، سلافة معمار والموسيقار عبد الحليم حريري رئيس فرع نقابة الفنانين بحلب؛ وكانت جدران الكنيسة وشوارع حلب تستعيد سيرة الراحلة ميادة بسيليس بهدوء دامع مع صوتها وتراتيله الملائكية. صوتها الذي رافقها أثناء جنازتها في موكب مهيب، وهو يوشح مدينة حلب وأهاليها بحزن مضاف إلى الحزن السوري الذي يختتم ألوانه بعادة الانتصار.

سيظل صوتها حاضراً مع الغيوم والأشجار والعصافير والقلوب الطاهرة ليسرد مسيرتها الفنية الجناز عبر بجثمانها شوارع حلب، وكأنها تودعها للمرة ما قبل الأخيرة، لأن روحها ستظل تزهر مع كل آذار إبداعاً جديداً يتفتّح مع الأجيال وأعياد الأم والوطن والحب والقلوب. الجناز عبر والتابوت الأبيض المزهر بصوتها الذي رُسم عليه مفتاح "الصول" بالورود البيضاء.

ومضة

سيدة الفن الراقي

«البعث الأسبوعية» ـ سلوى عباس

صدقنا كذبها الحلو وفتحنا شبابيك أرواحنا لألوانها الغنائية، واستنجدنا بطيبتها لنداوي جروح أحبتنا. كان غناؤها يتدفق غديراً من الوداد، يسري برقته على أرواحنا بريقاً يضيء سجايانا، يأتينا صوتها كما الشمس تحيي عشبة داهمها صقيع الليل يسري بخضورها الدافئ إلينا نغمات تناغي مسمعنا، تغمرنا بموسيقا أغانيها وتمنحنا طاقة من حب نستعين بها على لهاثنا اليومي، وأمام رهبة الموت، حيث يضيق أفق الكلمات، لنرى أنفسنا على حافة الفقد نودّع ونستذكر أعزاء فارقونا، جمعتنا بهم الحياة وتقاسمنا معهم رغيف أفراحها وأحزانها، لكن هناك حالات تستحق الوقوف عندها، فمنذ أيام ودّعنا قامة فنية إبداعية متميزة رفعت مرساتها باتجاه الشاطئ الآخر. ترحل ميادة بسيليس التي أعطت الفن نداوة روحها وعمرها، فشكلت أغنياتها شجرة وارفة الحياة، وحالة عطاء لا تنضب، أغنية خلّدتها رمزاً للفن الملتزم لتصبح الكلمة واللحن رئتها التي تتنفس منها الحياة، تشهرها سلاحاً في وجه هذا القبح الذي يتطاول على كل ما هو جميل، إذ كانت بسيليس تلوّن أغنياتها بأزاهير الحب وتنسج خميلة انتمائها على روحها ألقاً تعيش لحظاتها على وقع نبضها، فتسبقه وتسبق الزمن الأرضي إلى زمن من فن وإبداع. زمن الفن السوري الأصيل.

غادرتنا الفنانة ميادة بسيليس منذ أيام إلى فضاء ربما يكون أكثر رحابة ورأفة بها بعد أن تشاركت مع وطنها سورية وجع عشر سنوات وقاومته، لكن القلب خانها وتوقف عن النبض لتترك لأهلها وأصدقائها بعضاً من ذكرياتها، سواء عبر تعاملها الإنساني، أم عبر الألبومات الغنائية التي ستبقى إرثاً فنياً للأجيال القادمة. فبالأمس كانت بيننا تشاركنا تفاصيل أيامنا بكل حالاتها، هذه الغيمة العطرة التي أرّقها الوجع على بلد مثّل لها ولشريك حياتها المايسترو سمير كويفاتي أيقونة من حب كانا حريصان عليها، هذا الوطن الذي رسمته حلماً من حب ارتسمت حوله تطلعاتها وأمانيها فحملته في وجدانها أمانة وكان الحلم في أبهى حالاته.

برزت موهبة الفنانة بسيليس في الغناء منذ الصغر، ولمع صوتها في أداء التراتيم الدينية المسيحية، إلا أن بدايتها الحقيقية كانت في العشرين إذ أعلنت عن نفسها بثقة من خلال غناء عدد من الأعمال الفلكلورية والوطنية، وتميزت بالحفاظ على وقار الفنان. لم تعتمد على جمالها في تقديم نفسها، بل اعتمدت على موهبتها الطربية، فاجتذبت حب وثقة الجماهير العربية، كما شهدت اختياراتها الفنية تنوعاً كبيراً، فلقبها جمهورها بـ «سيدة الأغنية السورية»، حيث قدمت كل أغانيها بكلمات وألحان سورية. ومع مرور الأيام وصقل التجربة أصبحت ميادة مطربة من العيار المدهش. وتعد أغنية «كذبك حلو» - التي شغفنا بها جميعاً كما بكل أغنياتها - سبب شهرتها عربياً، وحازت عليها الكثير من الجوائز.

آلمها كثيراً ما حصل في مدينتها حلب من دمار وخراب، فغنت لها «مشتاقة أنا أغمر كل حجار الـ فيكي وعمرها من جديد. الفرح ما بيموت ولا بيعرف يبكي»، وهاهي تعود إليها تلتحف ترابها وتحتمي به من وحشة الموت، ليخلدها فنها علماً من أعلامها. اليوم يقف أصدقاؤها وأحبتها في حضرة الفقد لفنانة غادرتهم وتركتهم للحزن يحرس ذاكرتهم ويفتحها على المقبل من الأيام، فالحزن وحده يرتل الصلوات ويلتقط من طبقات الأثير تلك الضحكات التي كانت يطلقها وهو يروي حكايات وطنه عبر أغنياته وأفلامه وشعره. تلك الضحكات المتعذرة الآن وتلك النبرة الملونة بخضرة روحه. رحل باكراً ومعركة الحياة لا تزال في ذروتها، فكيف اقتنع أن يسلم روحه النابضة بالحياة للموت بهذه البساطة، هو الذي كان ينشر الفرح في أرواح من حوله والذين أصبح في وجدانهم آهة غصة. لترقد روحك في الفردوس الأعلى بسلام سيدة الفن والحضور البهي، كنت مثالاً في العطاء وستبقى ذكراك منارة للأجيال في مشوارهم الطويل.

تولستوي في «آنا كارنينا».. شعور الرجل والمرأة بالحاجة لبعضهما شرط للسعادة

«البعث الأسبوعية» ـ ترجمة: علاء العطار

استهل تولستوي رواية آنا كارنينا بالعبارة التالية: «أسباب السعادة تتشابه، وأسباب الشقاء تتفرع إلى أغصان وأفنان»، ما يجعل الرواية مكاناً لدراسة العائلات السعيدة والتعيسة.

على الرغم من أن الرواية تدور حول العائلات التعيسة بشكل أساسي، يحبك تولستوي قصة العائلة السعيدة الوحيدة، كاترينا شيرباتسكي «كيتي» وكونستانتين ليفين «كوستيا»، بطريقة تلفت الانتباه بقدر ما تثيره قصص العائلات الأخرى. ومع أن كل علاقة عائلية أخرى تبدو وكأنها تفرق بين أفرادها، تبرز كيتي وكوستيا لأن حبهما يجعلهما أقوى. ويتمتع نيكولاي ليفين، شقيق كوستيا، بأهمية أساسية لجهة توضيح كيف تتيح لهم علاقتهما التعامل مع المشكلات التي لا يمكنهما التعامل معها بمفردهما، فنرى عجزهما عن التعامل مع مرضه قد تحول إلى فضيلة عندما يكونان معاً. وعبر استخدام حياة نيكولاي ليفين وموتة كوسيلة لتسليط الضوء على الاختلافات في شخصيتي كيتي وكونستانتين ليفين قبل زواجهما وبعده، يؤكد تولستوي على قوة الحب التحويلية، ويكشف عن قدرة الحب على موازنة نقاط ضعفنا وجعلنا متكاملين.

وصل تولستوي على الفور بين علاقة كيتي وكونستانتين وعلاقتهما مع نيكولاي، إذ يلتقي القارئ بنيكولاي لأول مرة بعد أن رفضت كيتي عرض كونستانتين الأول للزواج، ما دفع كونستانتين للتشكيك في قيمته الذاتية وهدف العالم:

«أنا الملام، بأي حق أخال أنها ستقبل العيش معي؟ من أخال نفسي؟ ما أنا إلا رجل وضيع لا فائدة ترجى منه». وهنا يتذكر شقيقه نيكولاي ويتوقف ببهجة أثارتها ذكراه: «ألم يكن محقاً عندما قال إن كل شيء في العالم زائف وحقير؟».

يشجب كوستيا نفسه إلى حد يثير للشفقة. ومع أن التواضع وقبول اللوم يعدان من الفضائل في معظم الأحيان، إلا أن الأمر يصل بكوستيا إلى أقصى الحدود، فيريد القنوط عندما تسوء الأمور، ويظل يهين نفسه إلى أن يشعر بأنه «عديم القيمة». ومن خلال ربط كره كوستيا لذاته بموقف أخيه المتشائم من العالم، يوضع نيكولاي كنقيض لموقف كوستيا المتفائل عادة، إذ يقدم تولستوي نيكولاي بأنه الشخص الذي يجعل كوستيا يواجه أوغل مشاعره، حيث يصف كوستيا شقيقه بأنه «من فهمه تماماً، والذي يوقظ أوغل أفكاره، ويجعله يفضي بكل ما يعتري بصدره». إن سبر كوستيا لأغوار نفسه يجعل منه شخصية لطيفة وذكية للغاية، لكنه يقوده في الأوقات العصيبة إلى حالة من الهوس.

لا يلفت نيكولاي الانتباه إلى إهمال كوستيا لذاته فحسب، بل إن سقمه الشديد يجعل كوستيا يتأمل الموت أيضاً، ما دفعه إلى التساؤل عن مغزى الحياة بوجه عام: «الموت هو النهاية الحتمية لكل من عليها، تعرف عليه لأول مرة عندما لمس قوته التي لا تُرد». وباعتباره شخصية عقلانية تهوى التأمل بعمق، ينشغل كوستيا في التأمل عندما يطرح مرض نيكولاي مسألة الموت أمامه، ما يؤدي به إلى حالة من العدمية تستنزفه كلياً.

يبين اختيار تولستوي لكلمة «لا ترد» كيف أن كوستيا غارق في أفكار كهذه ولا يسعه الخلاص منها، على الرغم من أنها دفعته نحو الجنون:

«لقد نسي فعلاً، بل غفل في حياته عن حدث صغير، هو أن الموت آت لا محالة وكل من عليها فان، وأن لا فائدة من قول أي شيء، ولا يمكن فعل شيء حيال ذلك. نعم، كان وقع الأمر عليه مروعاً، لكنها الحقيقة لا غير».

عندما قال تولستوي إن كوستيا قد نسي احتمال الموت، أكد مدى فداحة تأثير مرض نيكولاي على كوستيا، إذ يجبر مرض نيكولاي كوستيا على محاولة مواجهة السؤال الهام المتمثل بالحياة والموت، لكن كوستيا عاجز عن التعامل معها، واختار بدل ذلك التقهقر نحو حالة من اليأس المطلق: «لقد رأى الموت أو دنوه منه في كل بقعة. لكن دفن أخيه شغله الآن أكثر. وجب عليه أن يعيش حياته حتى آخر رمق، حتى يأتي الموت ليقبضها. غطت عتمة اليأس كل شيء أمامه».

إن العدمية التي وصل إليها كوستيا غيرته من شخص منضبط مرهف الإحساس إلى متهكم شديد البرودة. جميع عيوب كوستيا التي يخرجها مرض نيكولاي (تفكيره القهري المفرط، ولومه الكامل لنفسه) هي كذلك أحمد صفاته (عقلانيته العميقة، وقدرته على تحمل مسؤولية أفعاله).

يشدد تولستوي على هذا لتبيان كيف أن الإنسان معرض بسهولة كبيرة للانزلاق في دوامة الانهيار في مواقف صعبة مثل التعامل مع وفاة أحد الأحبة. يضع هوس كوستيا بالموت ضغوطاً على علاقته مع نيكولاي لأنه عاجز عن التعبير عن مشاعره، ويشعر بدلاً من ذلك باليأس والقنوط أمام قوة الموت:

«لكان كونستانتين ليقول فقط: ستموت، ستموت، ستموت! وكان نيكولاي ليجيب فقط: أعلم أنني سأموت، لكنني مذعور، مذعور، مذعور!». ما كانا ليقولا شيئاً آخر، لو باحا بما في خلدهما بصدق.

ولما كان كوستيا عاجزاً عن التعامل مع فكرة الموت، هو عاجز عن أن يقف إلى جانب أخيه عندما يكون في أمس الحاجة إليه، ما يجعل علاقتهما زائفة وجوفاء.

يعرض تولستوي كيتي كشخصية ساذجة ووجدانية وسطحية تفتقر إلى العمق الأخلاقي، كما يتضح من انطباعها الأول عن نيكولاي ليفين، إذ تلتقي كيتي ونيكولاي لأول مرة في منتجع صحي، دون أن تكون كيتي على علم بهويته:

«كان هناك رجل طويل القامة، محدودب المنكبين، يداه كبيرتان، ويرتدي معطفاً قديماً قصيراً جداً عليه، وعيناه داكنتان تنمان عن سذاجة، غير أنهما مخيفتان في الوقت نفسه، وامرأة جميلة المظهر، يكسو وجهها بعض البثور، ترتدي ثوباً بالياً لا ينم عن ذوق حسن. وبعد أن أدركت أن هذين الشخصين من روسيا، بدأت كيتي تنسج في مخيلتها عنهما قصة حب مؤثرة وجميلة».

يجعل تولستوي كيتي تبدو وكأنها طفلة تتخيل قصصاً خرافية في كل ركن تنظر إليه. ويؤكد انتباهها الشديد للتفاصيل على مدى الأهمية التي توليها للمظاهر. وبعد أن علمت أن هذين هما نيكولاي وماريا نيكولاييفنا، وسمعت والدتها تعنفهما، غيرت كيتي رأيها بسرعة: «فجأة أصبح هذان الشخصان كريهين في نظرها، فقد أثار ليفين في نفسها اشمئزازاً لا يمكن كبته لأنه مصاب برعشة تجعل رأسه ينتفض كل حين». بدل أن تتعاطف مع شخص مريض، تُظهر كيتي افتقارها إلى هذه المشاعر عبر شعورها بالاشمئزاز. يُظهر رأي كيتي الأول عن نيكولاي مدى سهولة تأثرها بآراء الآخرين، وكيف تشكل آراء عن الآخرين بحسب مظهرهم، كما يفعل الطفل.

عندما كان كوستيا وكيتي مستقلين عن بعضهما، كانا عاجزين عن التعامل مع نيكولاي بشكل ملائم، لكن عندما اجتمعا معاً بعد زواجهما كانا قادرين على مواجهة الموت، وعلى تهوين انتقال نيكولاي من الحياة إلى الموت، ما يدل على قوة الزواج السعيد. يكشف مشهد موت نيكولاي عن مستوى جديد من العمق الأخلاقي داخل كيتي، إذ إنها تبدي إيثارها وتعاطفها عندما يرفض كوستيا أن تأتي معه إلى نيكولاي القابع على فراش الموت، لكنها تصر على ذلك قائلة: «يجب أن تفهم أنه يصعب عليّ كثيراً أن أراك ولا أراه، عليّ أكون ذات عون لك وله. لطفاً، ائذن لي بمرافقتك!». توسلت إلى زوجها، وكأن سعادتها تتوقف على ذلك. على الرغم من أن تولستوي أعد كيتي سابقاً لتكون شخصية سطحية، يتكشف في هذا المشهد جانب جديد لها حين تظهر عمق حبها لزوجها، وتربط سعادتها بسعادته.

وبالرغم من أن منظر نيكولاي وهو على فراش الموت أكثر إثارة للاشمئزاز مما كان عليه عندما رأته أول مرة، لم تعد تعتبره مثيراً للاشمئزاز، بل كانت تنظر إليه بعين الحب والحنو: «عندما رأت الرجل المريض، أشفقت عليه. ولم تُحدث الشفقة التي ملأت في روحها الأنثوية أي إحساس بالذعر أو بالغثيان كما فعلت بزوجها، بل الحاجة إلى التصرف بسرعة لتعرف كل تفاصيل حالته وتساعده في حلها». إن وصفها بأنها تتمتع بـ «روح أنثوية» يحقق هدفين، فهو يوضح أن كيتي بالغة ولم تعد طفلة، فضلاً عن إظهار أن هذه المرأة تمتلك قوة التعاطف والحنو التي لا يمتلكها الرجال.

يبين استخدام مصطلحات عامة مثل «امرأة» و «زوج»، بدلاً استخدام اسمي كيتي وكوستيا، كيف يحاول تولستوي أن يعبر عن طبيعتي الرجال والنساء بصورة عامة تقبل التطبيق. يبني تولستوي على هذه الفكرة عن النساء، القابلة للتطبيق عموماً، كجنس يمكن أن يتعامل مع الموت بشكل أفضل من الرجال بكثير، ما يضعه في جهة تعارض جهة الرجال باعتبارهم مفكرين: «العديد من العقول الذكورية العظيمة، الذين قرأ عن أفكارهم حول الموت، تأملوا الموت كثيراً، لكنهم لم يعرفوا ولو جزءاً صغيراً مما عرفته زوجته وأغافيا ميخائيلوفنا عن الموت». يؤكد تولستوي تكامل الرجل والمرأة، والحاجة إلى إيجاد توازن بين طريقة تفكير الذكر العقلانية وروح الأنثى العاطفية.

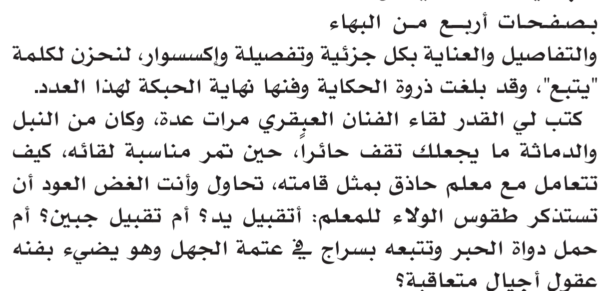
وعلى الرغم من أن عقل كوستيا المفرط في التفكير واندفاع كيتي في اتباع انطباعاتها وعواطفها يعدان عيبين عندما يكونان مستقلين عن بعضهما لأنهما يصلان إلى أقصى الحدود، إلا أنهما يصبحان معاً متوازنين بحيث يمكنهما التعامل مع أي موقف. هذه السمات نفسها التي جعلت كيتي تشعر بالاشمئزاز من نيكولاي قبل أن تجعلها قادرة على الاهتمام لأمره كثيراً عندما يموت لأنها مغرمة بكوستيا. عندما يجاور تولستوي بين رد فعل كوستيا على وفاة أخيه قبل أن يتزوج كيتي وبعد زواجهما، نرى أنه يدعم الرأي القائل إن للحب تأثيراً بالغاً:

تجدد في روح ليفين مشهد شقيقه وقربه من الموت، ذلك الشعور بالخوف من المجهول ومن دنو الموت وحتميته، ذلك الشعور الذي استحوذ على تفكيره مساء ذلك الخريف عندما جاء شقيقه لزيارته. كان الشعور الآن أقوى من ذي قبل، إذ شعر أنه أضعف قدرة على فهم معنى الموت من ذي قبل، وبدت حتميته أكثر فظاعة في نظره، ولكن الآن، بفضل قرب زوجته، لم يدفعه ذلك الشعور نحو شرك اليأس، فعلى الرغم من موت أخيه، شعر بضرورة العيش والحب. لقد شعر أن الحب أنقذه من براثن القنوط، وأن هذا الحب أصبح أقوى وأنقى بعد أن وقف كحصن منيع أمام اليأس.

بينما يقر تولستوي بأن عيب ليفين المتمثل بإفراطه بالتفكير لا يزال موجوداً، فإن زوجته تجعله قادراً على رؤية هدف أسمى في الحياة، وسبباً للمضي قدماً، وسبباً ليستخدم عقله مفرط النشاط وقلبه في سبيل الخير. بعبارة أخرى، لا تجعله كيتي أكثر قدرة على التعامل مع وفاة نيكولاي فحسب، بل تمنحه أيضاً سبباً للعيش.

يستخدم تولستوي حياة نيكولاي وموته كوسيلة للحديث عن اعتماد الرجال والنساء على بعضهم بعضاً. ويوضح هذه الفكرة الأكبر من خلال الطريقة التي يحتاج بها كوستيا وكيتي إلى بعضهما بعضاً للتعامل مع وفاة نيكولاي، وهو موضوع لم يكن بمقدورهما التعامل معه بمفردهما سابقاً. منذ أن بدأ الرواية بعبارة «أسباب السعادة تتشابه»، حاول تولستوي أن يجعل بيانه حول حاجة الرجال والنساء إلى بعضهم بعضاً حقيقة عالمية تصح في جميع العائلات السعيدة.

«رد الصفعات».. مسلسل «العملاق المهاجم» أنموذجاً!!



"البعث الأسبوعية"
ـ رامز حاج حسين

ضاعت الريشة في عيد المعلم فيصل عبيد – مع حفظ الألقاب كاملة من إجلال وتقدير لهذا النبيل الإنسان صاحب الريشة الذهبية – فنان من الرعيل المعتق والمليء بذكريات نبض الحبر واللون الخام على ورق المجلات الطفولية في سورية والوطن العربي كانت مغامراته المرسومة بطريقة الكوميك تأسرنا وتخلب لبّنا، وكانت تسير بنا مع قوافل الفاتحين حين رسم تاريخاً لفرسان نبلاء عبروا هذه الفيافي على خيولهم، وهم يحلمون ببناء حضارة عربية عظيمة. كانت صفحات مجلة "سامر" اللبنانية تتحفنا في كل عدد بصفحات أربع من البهاء والتفاصيل والعناية بكل جزئية وتفصيلة وإكسسوار، لنحزن لكلمة "يتبع"، وقد بلغت ذروة الحكاية وفنها نهاية الحبكة لهذا العدد.

كتب لي القدر لقاء الفنان العبقري مرات عدة، وكان من النبل والدماثة ما يجعلك تقف حائراً، حين تمر مناسبة لقائه، كيف تتعامل مع معلم حاذق بمثل قامته، تحاول وأنت الغض العود أن تستذكر طقوس الولاء للمعلم: أتقبيل يد؟ أم تقبيل جبين؟ أم حمل دواة الحبر وتتبعه بسراج في عتمة الجهل وهو يضيء بفنه عقول أجيال متعاقبة؟

فيصل عبيد – أطال الله في عمره – ما زال بين ظهرانينا معلماً نبيلاً معبأً بكل حب وشغف الألوان؛ ريشته في يده، وينتظر تكريماً يليق، وإضاءة على تجربته توازي تعبه مع الرعيل الأول في تأسيس منظومتنا الفكرية الغالية. كل عام وهو بخير، وكل عام ونحن نستذكر عظماء فن الطفل في سورية، كي لا تضيع الريشة، وتطيش الألوان في مدى النسيان.

زنوبيا ممتاز البحرة

زنوبيا هي زنوبيا بتاريخها ومدونات كتب الفلاسفة والمؤرخين والمثقفين؛ ولكن في خلد جيل كامل من الفتيان العرب، وخصوصاً في بلاد الشام، كانت زنوبيا هي تلك اللوحة والشخصية الحية التي نقلها، بعبقريته، الفنان الراحل ممتاز البحرة، عبر صفحات مجلة سامر اللبنانية أيضاً، لنتتبع مغامرة قوة ونبل وشهامة الفرسان السوريين والتدمريين الأوائل، بقيادة تلك المرأة العظيمة وهي تقف، بعنفوانها وجبروتها، في وجه طغيان العصر وصلف روما المتكبرة آنذاك. هنا يحلو معايدة الأم والمعلم والمرأة، حين يقع بين أيدينا غلاف مجلة سامر (العدد ٦١٤)، وعنوانه "زنوبيا ملكة الصحراء" لممتاز البحرة. تاريخ بات يقض مضاجع كل من تبعه، وأتعب من خلفه في فن اللوحة الطفلية؛ فنحن، مهما علت التقنيات التي بين أيدينا وزاد كعبنا علواً في مجال فن الطفل، سنظل ندندن حول سراج ممتاز البحرة وحبره وألوانه، كفراش تائه ينجذب بلا إرادة إلى ذلكم النور.

"العملاق المهاجم"

ذاك التمهيد يجعلنا نقف بين حارسين لعتبة الفن والجمال للوحات قصص الأطفال: الأول – رحمه الله – غادرنا دون أن نجد طريقة، أو منظومة، لتوريث فنه لمن بعده، والثاني ما زال بصلابته وعنفوانه الفني بيننا. وأيضاً، تاهت بنا السبل لإيجاد طريقة لتوريث فنه لأجيال من الفنانين الشباب بعده.

سبق وتحدثت في كثير من المقالات عن التجربة اليابانية في فن "المانغا" العظيم، وإرادة الفن والحياة التي انتهجها اليابانيون لرد كيد الأمم الأخرى، ورد الصفعات لمحاولات طمس هوية الشعب الياباني وتغريب أجياله عن جذوره وامتداداته الحضارية؛ فكانت نهضة اليابان التي يُضرب بها المثل، وكان جزء منها هو نهوض الفنانين المؤسسين لكتب وقصص الأطفال واليافعين، ومجلاتهم "المانغا". اللفظ الذي يطلقه اليابانيون على القصص المصورة، ويستخدم خارجاً للدلالة على القصص المصورة التي أنتجت في اليابان، وللدلالة على اللوحات والمجلات أو القصص المصورة التي رسمت بنمط مشابه للنمط الياباني، وقد يستخدم هذا اللفظ للإشارة إلى الصناعة المتعلقة بهذا الفن، وكذلك إلى الوسائل الإعلامية التي ينتشر عبرها (دوريات، مجلات، إلخ). ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي، وموجة الفن الياباني الخاص بلوحات الأطفال ورسومهم المتحركة تغزو بلدان العالم أجمع، وباتت تنافس في الكثير من بلدان العالم مثيلاتها من المنتجات الأميركية، حتى جاء مسلسل كرتوني حديث بات يشغل المتابعين لفن القصة المصورة والرسوم المتحركة المنبثقة عنها، في كل أنحاء العالم، ألا وهو الأنيمي الشهير "الهجوم على العمالقة" المستمد من مانغا مطبوع بالتسمية نفسها. وتعرض، في هذه الأثناء، الحلقات الأخيرة من الموسم الرابع لهذا العمل، لتتصدر شخصياته وحلقاته التصنيفات العالمية، وتتقدم على كل ما يوازيها من أعمال، ليصبح الفن الياباني الخاص بالأطفال الرقم الصعب – بل الأصعب – بين كل الفنون الموازية له. ولهذا العمل كاتب موهوب ورسام حصيف ومخرج متقن صنعته، عداك عن فريق عمل من الموهوبين ينتج لنا من العدم، بمخيلة خارقة، عملاً فنياً يعتد به، ويضاف لمنظومة العبقرية اليابانية في شتى المجالات.

السؤال الفطري: إذا كان لهؤلاء الشباب معلمون في "الكار" – وهم لهم بالتأكيد – فكم سيكون الفخر متبادلاً، حين تمر مناسبة عيد المعلم، ليجتمعوا ويقولوا لهم: كل عام وأنتم خير المعلمين!! كل عام وأنتم بخير، ننتظر – وكلنا أمل – منظومتنا المنشودة لرعاية فن الطفولة السورية وفنانيها، لنقول لهم في تجمع كبير وحفل بهي، كل عام، حين تمر مناسبة عيد المعلم: شكراً لكم لأنكم علمتمونا الخير والجمال في هذا الوطن البهي!!

في الموسم الأول للحلقات الثلاث عشرة من مسلسل "العملاق المهاجم"، يكون عنوان أغنية المقدمة: "القوس والسهم القرمزيان". منه نقتبس فكرة لنقول: القوس مشدود في قلب كل فنان في بلدي يحب فن الطفولة وينتظر أن ينفذ سهم الإرادة لنصنع تجمعاً يليق بنا، ويحمي حقوق الفنانين العاملين بهذا المجال ويرفع مكانتهم ويوفيهم حقوقهم.

ماهر علاء الدين.. خشب بسنادا وأحجار رأس البسيط والخردة المرمية على أطراف هذا الزمن التعيس!!

"البعث الأسبوعية" ـ لينا أحمد نبيعة

فنان برتبة إنسان من الدرجة العالية الدهشة، فنان حقيقي رفد حركة النحت في سورية وأغناها بعطائه وإضافته وتميزه، مقدرته تجاوزت العادي والمألوف في ابتكار الأشياء والتأليف والتركيب ومزاوجة المواد والخامات، يملك مهارة فريدة متفردة في الأسلوب، واستثمار التراث والبيئة، والبساطة في طريقة استخدام الخامات، فالمعدن مطواع بين يديه، يتحكم به ويحمّله حركة وحيوية وتوترات مدهشة، حيث أثبت بروعة تشكيلاته أن الحديد مادة نبيلة، وفيها طاقات كبيرة للتعبير، وبطريقة ما يحاكي الحجر والرخام فيكونان ما تريد يمناه، ويتحولان إلى عمل جميل مطلق في الفضاء.

جميل البدايات

منذ حوالي الـ ٤٥ سنة، أخذتني والدتي بيدها وذهبت بي إلى مركز الفنون التشكيلية باللاذقية، وجعلتني انتسب إليه، عام ١٩٧٤، بقسم الرسم والنحت، وتخرجت منه عام ١٩٧٦. من يومها، صار النحت هاجساً وشغفاً لازماني في حياتي، وقد ساعدني وجود ورشة نجارة عربية لوالدي، توافرت فيها أدوات النجارة البسيطة. هذه كانت بداياتي الأولى بالنحت، حيث تأثرت بالفنان النحات سعيد مخلوف "شيخ النحاتين"، واستفدت كثيراً من تجربته الفنية لانتقل بعدها لزيارة المعارض الفنية لنحاتين مهمين على مستوى سورية، كما ساعدتني وسائل التواصل الاجتماعي في السنوات الأخيرة بإتاحة الفرصة لي للإطلاع على تجارب غنية ومهمة ومتنوعة لنحاتين عرب وعالميين، لكنني في هذه المرحلة من تجربتي الفنية أعتقد أنني أسير في خط خاص يميزني عن غيري.

الفن حالة خاصة وفردية

الفن بشكل عام حالة خاصة وفردية، وأنا كنحات أشتغل على أعمالي لأشبع رغبة داخلية، وحاجة ملحة لإخراج مكنونات نفسي؛ وحين تراودني فكرة منحوتة ما، أبدأ العمل على تنفيذها فوراً دون أي تأجيل. أنسى خلال العمل على المنحوتة كل ما حولي، أغرق في تفاصيلها حتى حدود الدهشة، وبلحظة أتوقف وأقرر أن العمل انتهى.

شاهد عيان على الهم الإنساني

أنا ابن هذا الواقع وهذه البيئة، كل وجه أقابله في أي مكان أذهب إليه هو مشروع منحوتة، تلك الوجوه التي تحمل البؤس والهم الإنساني هي هاجسي ومادتي المفضلة، أخلق أعمالي وأجد لها حيزاً في الزمان والمكان لتكون بمثابة شاهد على حياتي المعاصرة اليومية، فالنحت هو حرية مطلقة يجب ألا تحدها حدود، عالم مفتوح على احتمالات لامتناهية، يؤرخ، يمتع، ويغني البصر والبصيرة.

الخشب يناديني لأبعث الروح فيه

في العمل النحتي، الخامة لا تأتي بالمرتبة الأولى، إذ على النحات أن يكون قادراً على التعامل مع الخامات المتنوعة وبالوقت نفسه أن يكون قادراً على تطويعها لخدمة الفكرة والحالة الإبداعية؛ ولقد استخدمت خلال مسيرتي الفنية خامات متنوعة كان الخشب أقربها إلى نفسي، لأسباب عديدة من أهمها أنه كان متوافراً في بيئتي المحلية (اللاذقية - بسنادا)، كخشب الزيتون والتوت والجوز والكينا. إلخ. كل قطعة خشب كانت تناديني لأبث فيها الروح والحياة، وكنت ألبي النداء بمنتهى الشغف والحب لأقدم معارضي الأربعة الأولى بمادة الخشب الحنون.

ولأن النحات لا يتوقف عند حدود الخامة بل يتجاوزها للبحث عن حلول تشكيلية جديدة تخدم فكرته وتظهر الحالة التعبيرية على أكمل وجه، قمت بإدخال خامة "المعدن" لتتمازج خامة الخشب مع الحديد في عمل نحتي مركب منهما، وتمتزج معهما مجموعة من المتناقضات: "الشر والخير"، "الحب والكراهية"، "البرد والدفء"، "القسوة واللين"، ليظهر الضد ضده ونقيضه؛ وأعتقد أن هذه الأعمال قد لاقت اهتماماً كبيراً حين عرضها، وتم اقتناء بعضها من قبل المؤسسات والأفراد من مختلف أنحاء العالم، لتأتي مرحلة جديدة استخدمت فيها "الخردة المعدنية"، تلك البقايا المنثورة من الحديد، هنا وهناك، عند ورشات الحدادة التي كنت أتردد عليها، ورأيت أن كل قطعة خردة مرمية تتحول لتعبر عن هم إنساني مرمي على أطراف الحياة. إنه الزمن التعيس الذي عشناه ونعيشه، زمن الخردة!!

إغراء الحجر

زمن الحجر الأصم، الحجر الذي انتقلت للعمل عليه لأجعله ينطق، إنه إغراء الحجر الذي تناثر حولي في رأس البسيط، هذا الحجر المتنوع الأحجام والأشكال والألوان، حيث أختار منه ما يناسبني خلال تجوالي الصباحي على ذلك الشاطئ الساحر، لأحتفي بهذا الحجر فيتحول إلى منحوتة، بورترية، أو جسد بشري، أو أنثى، أعمال مصقولة بعناية وتشكيلات يخترقها الفراغ.

"للإزميل والمطرقة" رائحة الذكريات

اعتمد النحت سابقاً على أدوات بسيطة وبدائية "كالإزميل والمطرقة"، أما الآن، ومع تطور التكنولوجيا وأدواتها، توافرت الأدوات الكهربائية لجميع الخامات المستخدمة، ما أدى إلى توفير الوقت والجهد للنحاتين، وما جعل النحات قادراً على إنتاج عدد أكبر من الأعمال في وقت أقل؛ وفي هذا مكسب كبير لفن النحت بشكل عام، لكنني لا أنكر أنني في بعض الأحيان أشعر بالحنين لذاك الإزميل وتلك المطرقة بما يحملانه من رائحة ذكريات حميمة للمرحوم والدي.

تكامل بالفن والحياة والحب

هيام سلمان فنانة مهمة، وعندها رؤية بصرية خاصة وذائقة فنية عالية، هي ليست زوجة وحسب، هي الحبيبة والصديقة والناقدة الأولى لأعمالي، أستشيرها بعد انتهاء كل مرحلة من مراحل العمل، وأحياناً كثيرة ترى ما لا أراه، وتناقشني في تفاصيل قد أكون غافلاً عنها بسبب اندماجي الكلي بالعمل، وهذا أمر طبيعي، وقد يكون رأيها أحياناً بعيداً عما يجول في خاطري، فأقوم بتعديل الأجزاء بما يتوافق مع رؤيتي الشخصية. أعتقد أن هناك تكاملاً بين تجربتي بالنحت وتجربة هيام بالتشكيل، ومشاركتنا معاً في معارضنا الثنائية قد رسخت هذا التكامل بشهادة كل من تابع تجربتنا الفنية.

للحرب فعلها التخريبي

قبل بدء الحرب على سورية، شاركت بمعارض وملتقيات نحتية عديدة في سورية وخارجها، كان آخرها ملتقى مورتسبورغ الدولي بألمانيا، عام ٢٠٠٩، ليلي ذلك، في العام ٢٠١٠، تأسيس جمعية "أرسم حلمي" الفنية، والتي أنا عضو مؤسس فيها، لتتوقف، في العام ٢٠١١، النشاطات الفنية وتغلق صالات العرض أبوابها بسبب الحرب على سورية. بقيت فترة من الزمن، كغيري من السوريين، مصدوماً لهول الأحداث التي عصفت بكل مدينة وحي وأسرة، توقفت تماماً عن العمل، لأعود منذ ثلاث سنوات بمشروع جديد يمزج الخامات الثلاث - الحجر والمعدن والخشب - بأعمال نحتية أحمّلها أفكاري ومشاعري وانفعالاتي الذاتية حول كل ما شهدته من أحداث دموية وظالمة خلال تلك السنوات استعداداً لإقامة معرض يضم حوالي مئة عمل نحتي، لكن للأسف جاءت جائحة كورونا لتغلق البلدان نوافذها وأبوابها ولتصبح المعارض إلكترونية. شاركت في أحد معارضها مؤخراً في أوكرانيا، ولأن الفنان دائماً يبحث عن نوافذ لعرض أعماله، فقد كان مواقع التواصل الاجتماعي حلاً مؤقتاً لهذا التوقف، على أمل أن أستطيع قريباً إقامة معرضي، فهو قيد الاكتمال، فاللقاء المباشر والواقعي مع جمهور العمل الفني مختلف جداً عنه في العالم الافتراضي، كما أن النحت تحديداً تظلمه الصور حتى ولو كانت من جميع جهاته.

النحت السوري

منذ آلاف السنين ترك النحت السوري بصماته في العالم أجمع. حضارتنا عمرها أكثر من عشرة آلاف عام، منحوتات الفنان السوري موجودة في كل متاحف العالم، والنحات السوري المعاصر وصلت أعماله إلى العالمية عن جدارة واستحقاق من خلال مجموعة كبيرة من الملتقيات النحتية؛ لكن مع هذه الحرب الطويلة، لا شك أن أول المتأثرين هو الفنان النحات المبدع الذي تأثر سلباً وبشكل كبير، خاصة مع توقف صالات العرض والانقطاعات المتكررة للكهرباء، بالإضافة إلى ارتفاع الأسعار الكبير للمعدات والمواد الخام اللازمة والضرورية لعمل النحات؛ وحتى قطع الخشب، التي كنا نراها في كل مكان وبمتناول اليد، أصبحت نادرة، لأن الناس العاديين جمعوا كل قطعة صغيرة أو كبيرة وأحرقوها طلباً للدفء وسط صقيع هذا العالم، وجميعنا نأمل الانفراج على جميع الأصعدة، ونتمنى أن نشهد نهاية هذه الحرب اللعينة التي لم تبق سوى قليل من أمل نتمسك بحباله الرفيعة.

النحات ماهر علاء الدين

مواليد اللاذقية ١٩٦١، عضو اتحاد الفنانين التشكيلين في سورية، عضو مؤسس في جمعية أرسم حلمي الفنية شارك في معظم المعارض الفنية الجماعية في سورية، من عام ١٩٩٥ وحتى ٢٠١٩. أقام العديد من المعارض الفردية والجماعية في سورية وخارجها، حائز على العديد من الجوائز الفنية والتقديرية، وأعماله مقتناة في العديد من الدول العربية والأجنبية، وشارك في أكثر من ملتقى نحتي محلي ودولي.

أمهات على نبض الحرب..

"البعث الأسبوعية" ـ جمان بركات

منذ اللحظة الأولى تتألم كي يعيش ابنها، تخاف من المخاض لكنها لا تمانع تكرار التجربة، تقول: "سيزول الألم فور احتضاني لطفلي"، تسهر الليالي تنظر إليه وتتخيله عندما يكبر، تعاني كثيراً من تقبل فكرة ذهابه إلى الحضانة، وتدور في رأسها أفكار تدفعها للاطمئنان عليه بشكل متكرر، يكبر وتعلمه الاعتماد على نفسه، بعدها تخشى أن يصبح غير محتاج لها، تدعو له أن يجد عملاً جيداً، وعندما يسافر تتألم لغيابه، وتتمنى أن ترى ابنتها بالفستان الأبيض لكن لا تستطيع فراقها.

"الأم في عيدها" مناسبة لالتقاء هذه القلوب الكبيرة الملأى بالحنان، وفرصة أيضاً للترحم على من رحل منهن. وفي الحقيقة، منذ أعوام خلت والمناسبة تمر علينا ونحن تحت وطأة إرهاصات الحرب، بكل بشاعتها وقسوتها وجنونها، ليأتي وجه أمهاتنا - كعادته - يمارس طقوس الطمأنينة والأمان والتفاؤل والإيمان بأن الغد أفضل، فهنّ الوحيدات القادرات، ويعرفن دائماً كيف يكون صد ويلات الحرب بالحب فناً تتقنه الأم السورية باقتدار!!

بمناسبة عيد الأم كان لـ "البعث الأسبوعية" هذه الوقفات مع نساء أمهات عاملات ومتقنات لفن الحياة والعطاء وسط هذه الحرب الجائرة.

الوجه الأجمل للحياة

تستعرض المربية عبير عمران لحظاتها مع المُضغ البريئة، خلال السنوات تلك التي انصرمت، وهي رئيسة مركز الطفولة المبكرة: جاءت الحرب، وبدأت تدريجياً تأكل أحلامنا وأحلام أولادنا وتضعف همتنا، وبدأ يختل ميزان أي قرار في ظل إكراهاتها، وأضافت بشاعة الأيام مسؤولية جديدة لكل أم سورية، ولكنها كانت حافزاً لاستنهاض قواي الكامنة، فقد تكاثفت التحديات، وبدأت تتوالى الدروس والعبر مع معاكسة الظروف، وبقي عالم الطفولة يطير بي إلى فضاء أكثر شغفاً، وتعلمت من الأطفال أن الحياة لها وجهها الأجمل مهما احتدم الألم

في الحقيقة، تعلمت من الياسمين أن لعملك الصادق الحقيقي أثر لا يزول مهما حصل، وتعلمت من الناس أن الورود التي تزرعها في القلوب تثمر الكثير من الخير، ومرت السنوات العشر وما زالت تلك الابتسامة التي ترافقني، وتصرخ في وجه الحزن: "لن تغلبني"! وتكررت المحاولات في أعمالي التطوعية والإنسانية، وفي مشروعي الذي كان وليداً في هذه الحرب المجنونة؛ ونتيجة للخبرات التي تراكمت والمشاعر التي تكدست، لم أتخل يوماً عن هدفي أستيقظ كل صباح لأفعل شيئاً من أجله، حتى أصبح الحلم حقيقة، وأصبح بيت التعليم المبكر وأنشطة الأطفال مشروعاً واقعاً لم أعرف بعد حدوداً لبرامجه حتى الآن.

مقام الأم

بدورها تحدثت الكاتبة حنان درويش، عضو اتحاد الكتاب العرب، عن صديقة قالت لها وهي تبكي: "منذ سنوات وأنا أقف على الحدّ الفاصل ما بين الموت والحياة، يملؤني حزن كبير. لا أنام، والمقابر لا تنام، أخذت مني الحرب المجنونة أولادي الثلاثة، وزرعت في روحي الهمّ والقلق والأرق، وكم كانت فجيعتي كبيرة، كما هي لدى الكثيرات من الأمّهات اللواتي قدّمن فلذات أكبادهن قرابين لكرامة الوطن!". آلمني حديث صديقتي، وهي الأمّ الندرة، الأمّ المفخرة، الأمّ التضحية، لأنّ الأمومة ليست نظريّة نطلقها، وليست مقولة ننشرها، وليست مجرّد اصطلاح جاهز نتباهى به أمام الملأ. إنّها البعد الحقيقي للوجود، والرحم والحضن، والاحتواء، إنّها فعل وقول ومصداقيّة وعاطفة خالصة، نمنحها للأبناء مع الرضعات الأولى، ونعلّمهم أنّ الحبّ دواء لكلّ موجوع، ومفجوع، ومجروح. بالحبّ يصنعون المعجزات، وبالدفء يتجاوزون المحن وعثرات الأيام

وتابعت درويش: الأمّ البهائيّة الوجدانيّة يصعب توصيفها، يصعب التعبير عنها بالكلام، وقامة الكلام صغيرة أمام قامة الأمّ التي لا يصلها أيّ وصف، ولا يُعبّر عنها بمقال، أو قصيدة. الأسرة بحاجة إلى أمّ عاقلة، ومتفهّمة، ومثقّفة، ولا أقول متعلّمة "فقط"، لأنّ الشهادة العلميّة وحدها لا تصنع إنساناً، ولا تبني أساساً، والأسرة بحاجة إلى أمّ حكيمة، خبيرة، صابرة على المحن، والصبر يأتي من تراكمات الوعي، والإيمان بالتأكيد مشاكل الحياة كثيرة، متشعّبة، متعدّدة، لا يمكن مواجهتها، أو التغلّب عليها إلا بمقومات تتناسب معها، وتقف حيالها نداً لندّ. لقد مرّ على الأمّهات في سوريّة من الأهوال والفجائع ما يفوق الوصف، ويشعل الرؤوس شيباً، حزن جرّ إلى حزن، وفقد أودى إلى فقد، وليس أكثر صعوبة من فراق الإبن، أو مرضه، أو تعرّضه لحال تدمي القلب والروح. رحم الله الشهداء، وألهم أمّهاتهم الصبر والإيمان الذي ذكرت، وحفظ أبناءنا من رهان الأيّام، وفتح لهم النوافذ لدخول الشمس، لتبقى سورية أمّنا جميعاً، مكلّلة بالنصر والأمن والاستقرار.

الحب

تستوحي الكاتبة رنا محمد تفاصيل حكاياتها من طفليها الذين ولدا في هذه الحرب القاسية عن تجربتها قالت: طفل اليوم حزين ومنكوب، طفل ولد وكبر في الحرب والفقر والغلاء والوباء والتقنين الكهربائي وأزمة المحروقات، طفل كبر وهو يرى العنف سيد الموقف، طفل كبر وشاشات التلفاز تتفنّن بعرض المعارك والقتال، هذا العنف الذي انتقل بدوره إلى قنوات الأطفال والألعاب، هذا الطفل لا نستطيع تحميله ما لا طاقة له به، كبر قبل أوانه، وعاش الحرمان قبل أوانه، لذلك كلمة لهن: القلب الكبير والعقل الكبير والحكمة، هذا الطفل العنيد أو الكسول أو العنيف أو المتسخ الذي أمامك الآن، الله أعلم ما هي ظروفه خلف تلك الجدران التي لا يعلمها إلا الله، ومهمتي الأهم كأم في هذه المرحلة الحساسة في مجتمعنا هي ترميم ما أفسدته الحرب في نفوس الأطفال، وعدم تفريغ إزعاجي بهم قدر المستطاع، والأطفال لا يحتاجون إلا الحب ثم الحب، والمحبة تبرر كل شيء وتغفر كل شيء وتُعين على كل شيء.

الأمومة والحرب

الأم كائن عاطفي بطبعه مترع بمزيج من مشاعر الحب والقلق والخوف، هذا ما عبرت عنه الكاتبة إيمان بازرباشي، وتابعت: تلك العاطفة هي جزء من كينونة المرأة وهويتها، وقد سببت ظروف الحرب إلى زيادة معاناة الأم وقلقها وألقت على عاتقها مهام وواجبات جسام، من بينها مهمة إمداد أطفالها بالدفء والحنان والأمان والقوة، فهي في نظر أطفالها المصدر والمنبع لكل ما سبق.

وأضافت بازرباشي: الأم عليها أن تعطي وإن كانت لا تملك شيئاً، وتبتسم وإن كان قلبها يبكي، وربما جاعت ليشبع أطفالها، وبردت لينعم أطفالها بالدفء، وتعبت لينعموا بالراحة. نعم هذه هي الأم تبكيها شوكة صغيرة تغز إصبع طفلها، لكنها في الوقت ذاته تتحول إلى لبؤة شرسة لمجرد أن تشعر بوجود أي خطر قد يهدد أطفالها أو يداهم حياتهم. نعم، هي مستعدة لتكون درعاً واقياً يحمي أطفالها من كل سوء ومن كل أذى، مستعدة لتضحي بحياتها وبكل ما تملك لأجل أطفالها، وقد رأينا أمثلة كثيرة في الحرب السورية لأمهات ضحين بحياتهن لأجل أطفالهن. وأذكر، في هذا السياق، حادثة عايشتها أنا شخصياً عندما كنت أعيش في محافظة حلب وكان الإرهاب يعربد في جنباتها، كنت مع أطفالي وأسرتي نتنقل من مكان لآخر بحثاً عن الأمن والأمان الذي افتقدناه، وكنا كلما انتقلنا إلى مكان آمن تمدد الإرهاب إليه، فنسارع ونهرب منه بحثاً عن ملاذ أكثر أمناً. أذكر أن ابني في أحد الأيام أجهش بالبكاء عندما سقطت بعض قذائف أولئك الإرهابيين قريباً من سكننا، سارعت وضممته إلى صدري لأخفف عنه وطأة الخوف، وقلت له: "لا تخف يا بني، أنا معك". حاولت جاهدة أن أمده بالقوة ليتماسك قلت له: "كن شجاعاً، كن قوياً كما عهدتك"، رد عليّ بصوت متهدج: "أمي أنا لست خائفاً من الموت، لكني أخشى أن تصيبني قذيفة غادرة فأصبح معاقاً!!"

تحملتُ، وتحملت أمهات سورية ما تنوء به الجبال، وما زلنا صامدين نمسك أيدي أطفالنا نمدهم بالقوة والطاقة، نشد من عضدهم، وما من خيار أمامنا إلا الاستمرار في الصمود في وجه كل الظروف والتحديات حتى نصل بهم إلى بر الأمان.

"ظل أمي"

كتب أنطون تشيخوف المئات من القصص القصيرة، ومن أجملها هذه القصة:

"لقد توفيت منذ دقيقتين. وجدت نفسي هنا، وحدي، معي مجموعة من الملائكة، وآخرون لا أعرف ما هم، توسلت بهم أن يعيدونني إلى الحياة، من أجل زوجتي التي لا تزال صغيرة، وولدي الذي لم يرَ النور بعد. لقد كانت زوجتي حامل في شهرها الثالث، مرت عدة دقائق أخرى، جاء أحد الملائكة يحمل شيئاً يشبه شاشة التلفاز، أخبرني أن التوقيت بين الدنيا والآخرة يختلف كثيراً، الدقائق هنا تعادل الكثير من الأيام هناك: "تستطيع أن تطمئن عليهم من هنا". قام بتشغيل الشاشة فظهرت زوجتي مباشرةً تحمل طفلاً صغيراً! الصورة كانت مسرعة جداً، الزمن كان يتغير كل دقيقة، كان ابني يكبر ويكبر، وكل شيء يتغير، غيرت زوجتي الأثاث، استطاعت أن تحصل على مرتبي التقاعدي، دخل ابني للمدرسة، تزوج أخوتي الواحد تلو الآخر، أصبح للجميع حياتهم الخاصة، مرت الكثير من الحوادث، وفي زحمة الحركة والصورة المشوشة، لاحظت شيئاً ثابتاً في الخلف، يبدو كالظل الأسود. مرت دقائق كثيرة، ولا يزال الظل ذاته في جميع الصور، كانت تمر هنالك السنوات، كان الظل يصغر، ويخفت، ناديت على أحد الملائكة، توسلته أن يقرب لي هذا الظل حتى أراه جيداً؛ لقد كان ملاكاً عطوفاً، لم يقم فقط بتقريب الصورة، بل عرض المشهد بالتوقيت الأرضي ذاته، وما أزال هنا قابعاً في مكاني، منذ خمسة عشر عاماً، أشاهد هذا الظل يبكي فأبكي!! لم يكن هذا الظل سوى أمي".

السعادة.. هل «تنبع من الداخل» فعلاً أم هي جينات متوارثة؟

كثيراً ما نسمع عبارة "السعادة تنبع من الداخل" دون أن نصدقها، لكن أبحاث علم النفس كشفت أن العوامل الخارجية من ظروف ومقتنيات مادية وغيرها لا تمثل أكثر من ١٠٪ فقط من سعادة الإنسان، فيما تعتمد ٩٠٪ من تلك المشاعر على العوامل الجينية المتوارثة في حمضنا النووي، بالإضافة لطريقة تفكيرنا وطبيعة رؤيتنا للأمور.

فكرة السعادة في أصلها غير المادي منبثقة من أحكام الفلاسفة القُدامى وهي موجودة في كل الديانات تقريباً، لكن الجديد أن خبراء العصر الحديث وعلماء النفس أقروا النظرية بعد أن اكتشفوا أنه بناءً على الجينات التي نمتلكها ونوعية رؤيتنا واستجاباتنا العقلية والعاطفية للعالم من حولنا، فإننا يمكننا بالفعل أن نخلق سعادتنا الخاصة.

لكن.. ما هي السعادة؟

وفقاً لدراسة بعنوان "السعي وراء السعادة: إجابات تجريبية للأسئلة الفلسفية" تم نشرها في مجلة aps العالمية لعلم النفس، السعادة هي أكثر من مجرد إمضاء نهار خفيف بمزاج جيد، ولكنها حالة من مشاعر الرفاه والرضا مصحوبة بإحساس عميق بالمعنى والقناعة.

ويرتبط مستوى الرضا عن الحياة عادةً بالعواطف الإيجابية بناءً على تجارب الماضي والحاضر والمستقبل المتوقع. ويمكن أن يؤثر الماضي على الرضا عن الحياة في المستقبل من خلال كيفية توقعه والنظر إليه في عقلك. على سبيل المثال، إذا كنت قد عانيت من صدمة في الماضي، فقد تعتقد أن مستقبلك لن يكون مرضياً لأنك تتخيل أسوأ السيناريوهات بناءً على تجربتك السابقة.

هل السعادة جينات متوارثة؟

وعن مدى تأثير الجينات المتوارثة في مستوى سعادة الأشخاص، تقول المعالجة النفسية الأمريكية سوزان زين إن الجينات تشكل ما يقدر بنحو ٤٠٪ من القدرة على أن تكون سعيداً، لكن الأمر لا يعني أنه إذا لم تولد بجينات معينة فمن المقدر لك أن تكون تعيساً مدى حياتك، ولكن "من الممكن إعادة تركيب أدمغتنا بطريقة معينة لتحقيق هذا الشعور لأن الـ٦٠٪ الأخرى من السعادة تنبع من نمط الحياة" على حد قولها.

الرابط بين الجينات ومستوى السعادة تم ربطه بشكل عملي في دراسة أشرفت عليها رئيسة الأبحاث في جامعة فريج الهولندية مايك بارتلز، في العام ٢٠١٧، حيث جرى أخذ عينات من الحمض النووي لأكثر من ربع مليون شخص مع تحديد مستوى سعادة كل منهم، واتضح أنه بالنظر إلى الجينوم البشري الذي يحتوي على المادة الوراثية يمكن تحديد روابط بين نوعية الجينات المتوارثة لدى الشخص ونوعية مشاعره وكان هناك ثلاثة متغيرات جينية للسعادة، اثنان يفسران الاختلافات في أعراض الاكتئاب، والأخير رُجّح أنه المسؤول عن درجات السلوك العصابي. وبمعرفة موقع الجينات الوراثية، قد يصبح بالإمكان قريباً تعديل التركيب الجيني للشخص. تقول بارتلز إنه "إذا كنت تعرف ما الذي يجب تغييره لتصبح أكثر سعادة، فلماذا لا يتأكد شخص ما في المستقبل من أنه يمتلك تلك الجينات؟".

كيف تساهم رؤيتنا في تحقيقها؟

على الرغم من دور التركيبة الجينية في تسهيل اعتناق السعادة كأسلوب للحياة، هناك طرق يمكن من خلالها تعلم أن نكون أكثر سعادة ورضا، حتى في الأوقات الصعبة، مثل تطوير سمات هامة هي المحور في تحقيق ذلك الشعور كالمرونة والتقبُّل. وتقول الأخصائية النفسية سوزان زين: "إن الأمر لا يختلف عن عملية تحديد ما نرتديه خلال اليوم أو نوعية الطعام الذي سنقوم بطلبه في أحد المطاعم".

وتشير إلى أن القدرة على الشعور بالسعادة تتطلب التدريب المستمر، وتبدأ من القيام بأشياء قليلة لزيادة الشعور بالرضا عن الحياة تدريجياً، عن طريق تمارين الشعور بالامتنان، والتطوع ومساعدة الآخرين، وتحقيق معنى وغاية كبرى للحياة والعمل من أجلها، بالإضافة للاحتكاك المستمر بالطبيعة والآخرين والانتماء للمجموعات الداعمة ذات الاهتمامات المشتركة.



وبالرغم من صعوبة أو حتى استحالة تحقيق الرضا بينما تكون الحياة المهنية أو العلاقات والحياة الاجتماعية في أزمة ما، إلا أنه في مقابل عدم القدرة باستمرار على تغيير الظروف، يمكن دوماً تغيير الطريقة التي نرى فيها تلك الأحداث. يقول الكاتب الأمريكي شون أكور، المتخصص في علم النفس الإيجابي ومؤلف كتاب "أفضلية السعادة": "صحيح أن بعض الناس قد يكونون أكثر قابلية لأن يكونوا أكثر سعادة من غيرهم، لكنك يمكنك أن تعلّم نفسك التفاؤل والسعادة مثلما تعلم نفسك لغة جديدةً". وفي مثال على ذلك، قال إن إنفاق الأموال على التجارب المعنوية كالسفر مثلاً حتى وإن كان بإمكانات غاية في البساطة، بدلاً من شراء الأشياء المادية كهاتف جديد، سيتم تحقيق مشاعر سعادة أكبر. واعتبر أن الإنفاق المعنوي من مشاركة للوقت والاهتمام والجهد مع الآخرين، لا يمكن مضاهاته بشيء في تحقيق مشاعر الرضا والإحساس بالمعنى، وهي المشاعر التي تساهم بدورها في زيادة الإمكانات الإبداعية للأشخاص وتحسين قدراتهم على حل المشكلات.

سعادة الانتماء للمجموعة

ولأن الإنسان كائن لا يعيش بدون الانتماء لمجموعات من الناس، فسعادته بطبيعة الحال ليست مشروعاً منفرداً، لأن رفاهيته- الجسدية والعقلية- تعتمد على روابطه بالآخرين. ووفقاً لتقرير السعادة العالمي الصادر عام ٢٠١٧، يعد الكرم والدعم الاجتماعي من أقوى العوامل التي تحقق مشاعر الرفاهية.

وتظهر دراسة أجريت عام ٢٠١٤ للمعهد الكندي للأبحاث المتقدمة أن أسعد الناس تربطهم علاقات وثيقة بالأصدقاء والعائلة؛ وكشفت أن الأشخاص الذين يتواصلون مع البشر الآخرين بشكل دوري، حتى الغرباء على متن المواصلات العامة أو في طوابير الانتظار، يبلغون عن حالات مزاجية أكثر سروراً عن غيرها، وهو النمط الذي يطلق عليه علماء السلوك "الوجبات الاجتماعية السريعة".

وترتبط العلاقات القوية بالقدرة على اكتساب المرونة، وفقاً لدراسة أجرتها جامعة هارفارد على الأطفال السعداء، على الرغم من تعرضهم لأحداث مؤلمة خلال فترة طفولتهم المبكرة.

وبالبحث عن أسباب تأقلم بعض الأطفال على تجاربهم القاسية، بينما يحمل البعض الآخر ندوباً تدوم مدى الحياة حتى بعد فترات البلوغ والنضج، أشارت الأدلة إلى إجابة واحدة مشتركة لدى جميع الطلاب المتعافين من تجاربهم: كل طفل منهم كان ينتهي به الأمر بصحة جيدة لأنه امتلك واحدة على الأقل من العلاقات القوية والمستقرة مع شخص بالغ داعم له. بعبارة أخرى لا تأتي المرونة من الإرادة أو العزيمة فقط؛ ولكنها تأتي من العلاقات القوية. وبالإضافة إلى توفير الإحساس بالهوية والدعم، يساعدنا الانتماء إلى مجموعة أو مجتمع على الشعور بأننا جزء من شيء أكبر من أنفسنا.

كيف نبدأ في تطبيقها؟

ليس من المستغرب أن يكون الأشخاص الأكثر بذلاً للجهد في تحسين عاداتهم وتقنيات تفكيرهم هم الأكثر شعوراً بالرضا. وإذا ما تم السعي وراء المتعة المادية، فلا ينبغي أن يكون ذلك على حساب عيش حياة ذات معنى وهدف أكبر. مثلاً بممارسة التسامح والامتنان والكرم، نحقق إحساساً بالكفاءة والاستقلالية والتواصل ، وهي احتياجات الإنسان الأساسية للعيش بشكل سوي.

يقول أستاذ علم النفس بجامعة ميسوري الأمريكية كينون شيلدون: "يمكن للناس أن يخلقوا لأنفسهم تدفقاً ثابتاً من التجارب الإيجابية الممتعة والمُرضية من التواصل والارتقاء، وبالتالي تزيد إمكاناتهم في تحقيق الشعور بالرضا والسعادة"، لافتاً إلى أنه من المستحيل توقع مقدار السعادة التي ستحصل عليها من أي تغيير معين تقوم به في الحياة، لكنها فقط قناعات تستحق المحاولة لتحقيق الغاية الأكثر إلحاحاً على البشر منذ بداية الحياة.

«درجة حموضة البشرة».. ماذا تعني؟ وكيف نطبقها؟

عندما نتحدث عن العناية بالبشرة يمكن أن تبدو الأمور وكأنها معقدة جداً. من تركيبة الصيغة إلى أسماء المكونات الكثيرة وتأثير هذه المكونات على البشرة، ثم يأتي ذلك المصطلح الذي يبدو أنه صعب الفهم جداً، مستوى حموضة البشرة.

لفهم هذا المصطلح، علينا أن نعود إلى الكيمياء. الأس الهيدروجيني هو مقياس يستخدم لتحديد الحموضة لأي محلول. وسواء كنت تعرفين ذلك أم لا، فإن درجة حموضة بشرتك لها تأثير كبير على وظيفة البشرة نفسها. إليك كل ما تحتاجين إلى معرفته عنها.

ما هو الرقم الهيدروجيني للبشرة؟

يتراوح نطاق درجة الحموضة في بشرة وجهك وجسمك بين ٤,٧ و ٥,٧٥. يتراوح مقياس الأس الهيدروجيني من ٠ إلى ١٤؛ درجة ٧ يعتبر محايداً، كما أن الماء له درجة حموضة ٧؛ أي شيءٍ تحت هذا الرقم يكون حامضياً، وأي شيء فوقه قلوياً. درجة حموضة البشرة هي حول ٥، لذلك تعتبر بشرتك حمضية قليلاً. من الضروري أن تظل بشرتك قريبة من الرقم ٥، للحفاظ على التوازن فيها.

تختلف حموضة البشرة بين الرجال والنساء

يختلف الرقم الهيدروجيني للجلد اختلافاً طفيفاً لدى الرجال والنساء، وعادة ما يكون الجلد أكثر حمضية لدى الرجال. يصبح الجلد أيضاً أكثر قلوية مع تقدم العمر، خاصة بالنسبة للنساء أثناء انقطاع الطمث. يتغير مستوى الرقم الهيدروجيني لجلدنا في حوالي سن الخمسين وتصبح البشرة أكثر حساسية وتكون النساء أكثر عرضة للإصابة بالطفح الجلدي وتهيج الجلد بسهولة، كما تميل البشرة الدهنية إلى أن تكون أكثر حمضية.

يتأثر الرقم الهيدروجيني بما يلامس البشرة

يمكن أن يتأثر الرقم الهيدروجيني للجلد بما يلامسه، مثل منتجات العناية بالبشرة أو حتى الماء.عندما تضعين مادة لها درجة حموضة مختلفة (سواء كانت حمضية أو قلوية)، فإنها تؤثر على بشرتك بشكل عام، تتمتع بشرتك بقدرة مذهلة على استعادة عافيتها ويعود الرقم الهيدروجيني لبشرتك إلى حالته الطبيعية بسرعة كبيرة. ومع ذلك، إذا كانت هذه التقلبات دراماتيكية للغاية أو تحدث بشكل متكرر للغاية، فعندئذ سوف تسبب مشكلة.

ما هو الغلاف الحمضي؟

لا يمكنك التحدث عن مستوى حموضة البشرة دون التحدث عن الغلاف الحمضي. الغلاف الحمضي هو طبقة الحموضة التي تحمي الجلد وهي في الواقع خليط من الزيت الطبيعي والعرق. هذه الحموضة هي جزء حيوي من وظيفة حماية الجلد. الحموضة تساعد على منع نمو مسببات الأمراض والبكتيريا التي تميل إلى الأداء بشكل أفضل في البيئات القلوية.

علامات

هناك العديد من المؤشرات التي تعني أن درجة حموضة بشرتك غير جيدة، ويمكن ينتج عن ذلك العديد من الأمراض والمشاكل الجلدية الشائعة:



- الجلد الجاف المشدود

عندما يكون الرقم الهيدروجيني لبشرتك قلوياً جداً، فإنه يعطل قدرة الجلد على الاحتفاظ بالماء. وظيفة الحاجز الواقي لبشرتك هي في الأساس قدرته على الاحتفاظ بالرطوبة. عندما تجف بشرتك، يفقد الماء عبر البشرة ويتبخر في الهواء.

- الأمراض الجلدية الالتهابية

ترتبط مسببات الأمراض الجلدية – مثل الأكزيما والوردية والصدفية وحب الشباب – بالالتهاب. يتسبب الالتهاب المزمن في إحداث فوضى في الجلد ويمكن أن يؤثر على توازن البشرة للأفراد الذين لديهم استعداد وراثي لهذه المشاكل، مثل الصدفية، والحساسية، والأكزيما، والتهاب الجلد التماسي، وحب الشباب، وسوء التئام الجروح، وتقرحات الجلد، وقشرة الرأس والعدوى الفطرية، وتسارع شيخوخة الجلد.

- زيادة الحساسية

تنتج البشرة الحساسة عن ضعف وظيفة الحاجز الواقي للبشرة بشكل دائم. بعض الناس لديهم بشرة حساسة بشكل طبيعي والبعض تصبح بشرتهم حساسة من خلال خيارات نمط الحياة والعناية بالبشرة. بفضل الدور الحيوي الذي يلعبه الرقم الهيدروجيني في وظيفة الحاجز الواقي، عندما يحصل خلل في الرقم الهيدروجيني، يمكن أن تصبح بشرتك أكثر حساسية.

كيفية موازنة درجة حموضة بشرتك

إن موازنة درجة حموضة بشرتك تتعلق بما لا تفعلينه بقدر ما تفعلينه، إليك هذه النصائح:

- لا تستخدمي الماء الساخن جداً عند الاستحمام أو غسل وجهك أو يديك. الماء الساخن مقشر للغاية ويفكك الدهون الطبيعية. ناهيك عن أن درجة حموضة الماء أعلى من درجة حموضة الجلد ويمكن أن تؤثر على وظيفة حاجز الجلد.
- استخدمي المكونات والكريمات التي تدعم الحاجز الواقي للجلد. تساعد المكونات، مثل السكوالين والسيراميد وحمض الهيالورونيك والزيوت النباتية المختلفة، بشرتك على حماية نفسها وإعادة درجة الحموضة إلى وضعها الطبيعي. وعلى الرغم من أن بعض المنتجات لا تقوم بمشاركة درجة حموضتها، فإن معظم المنتجات النظيفة الموجودة في السوق اليوم مصنوعة بطريقة تحافظ على حموضة بشرتك.
- تجنبي استخدام الكبريتات والصابون. ربما يكون أحد الأسباب الأكثر شيوعاً لاختلال درجة الحموضة لدينا أن الصابون القوي والكبريتات لها درجة حموضة قلوية للغاية. لن يؤدي استخدام الصابون القوي من حين لآخر إلى مشكلة كبيرة، ولكن استخدام هذه الصابون باستمرار سيؤثر على وظيفة بشرتك.
- تجنبي الإفراط في التقشير؛ لأنك تخاطرين بإتلاف درجة حموضة بشرتك. التزمي بالقيام بالتقشير مرة إلى ثلاث مرات في الأسبوع كحد أقصى.

هل أنت على وشك لقائك الأول بالحبيب المستقبلي؟ ٩ خطوات فاشلة عليك تجنبها

من منا لا يطمح إلى ترك أفضل انطباع لدى الحبيب في اللقاء الأول؟ لكنا كثيراً ما نقع في أخطاء بسيطة، وكفيلة في الوقت ذاته بإفساد العلاقة قبل ولادتها.

قد يدهشك أيضاً أن الطرف الآخر ينتبه إلى أمور بسيطة، فلا تجعل التوتر وضعف الثقة يرافقانك في اللقاء، فليس هناك أفضل من التلقائية، لذلك انتبه إلى النصائح التالية وجربها:

خطوات تجنبيها قبل لقاء حبيبك

واحدة من أهم الأمور التي يغفل عنها البعض أو لا يحسنون تقديرها، ارتدي الملابس الأكثر راحة والأنسب لمكان اللقاء، وتجنب التكلف في الملابس خاصة التي لم تعتدها من قبل، فأنت لا تمثل دوراً في فيلم تاريخي أفضل ملابسك ليست بالضرورة هي الأنسب للقاء الأول

كما ننصحك بالحرص على ارتداء ملابس مغسولة جيداً لضمان عدم وجود بقع أو روائح غير محببة، وينطبق ذلك على الجوارب والشال وغيرها من مكملات الملابس

تجنب الملابس المتكلفة والطبقات المركبة، ويفضل عدم ارتداء ملابس رسمية أو معقدة، فرابطة العنق لاتناسب اللقاء الأول، كما أن الاكسسوارات ذات الأصوات المزعجة

يفضل ألا ترتدي أكثر من ٣ ألوان في كامل ملابسك

الكعب العالي هو المفضل لكثير من الفتيات بينما يصبح كابوساً لبعضهن إذا لم تكن معتادة على ارتدائه. لا ترتديه أبداً في اللقاء الأول، حتى ولو كنت ترغبين في إخفاء القصر أو لموديل ترتدينه، ولا ترتدي أيضاً أحذية مفتوحة إذا لم تكن قدماك مناسبة لذلك!

وجه المهرج

تجنبي تماماً وضع الكثير من المكياج، حتى ولو ظننت أنها الطريقة المثلى لإخفاء بعض العيوب في الوجه كالهالات السوداء أو الحبوب والبقع. المكياج البسيط يعطي انطباعاً عن ثقتك في نفسك، فضلاً منحه الآخر شعوراً بالتقارب وكسر الجليد بينكما، كما أن المكياج المبالغ فيه ربما يزعج الشريك ويمنحه انطباعات حادة لردود أفعال وجهك.

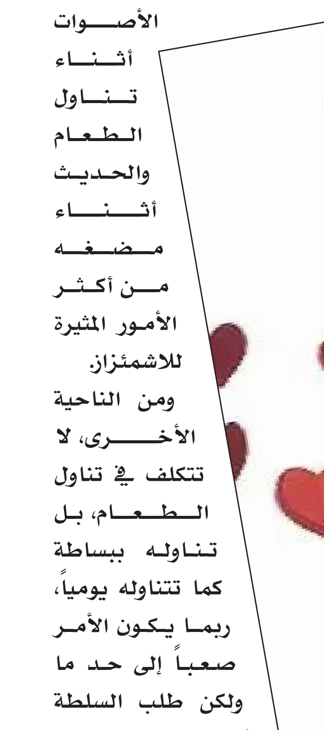
العطور المزعجة

يفضل الكثيرون العطور، لكن تجنب استخدام كثير من العطر – خاصة العطور الثقيلة منها – لأن البعض لديه حساسية من العطور النفاذة، كذلك حاول استخدام العطر الأنسب لموعد المقابلة، فالنهار يتطلب عطوراً خفيفة والمساء عطوراً دائمة.

النظافة الشخصية

هل تظن أن شريكك لا يشم رائحة العرق؟ احرص على نظافتك الشخصية واستحم قبل اللقاء وضع مزيلات العرق، وكذلك اهتم بنظافة أظافرك.

رائحة أسنانك أيضاً من الأمور المزعجة لو لم تعتني بها. تخلص من الروائح الكريهة قبل اللقاء الأول.



القرار لك

تقع معظم الفتيات – خاصةً الخجولات منهن - في خطأ ترك الاختيار للطرف الآخر، كأن يسأل عن أشياء تفضلينها أو أمور مستقبليه تتمنيها أو اختيارات يسألك عن رأيك فيها؟

لا تترددي في الرد خوفاً من تباين الآراء أو لعدم الخبرة أو حتى خجلاً، قرري فشريكك يريد أن يعرف منك نقاط الاتفاق والاختلاف، واختلافكما لا يعني أبداً عدم تلاقيكما فكرياً، وإنما يعني أنه يمكن لكل منكما أن يعمل لاستيعاب الآخر، في نفس الوقت على كل طرف احترام رغبات الشريك حتى ولو لم تتوافق معك.

المرح الزائد

البعض يخطئ حين يظن أن كسر الجليد بين الطرفين سيتم عبر المزيد من المرح والفكاهة والضحك بصوت مرتفع.

وجبة الوحوش

إذا كان اللقاء يحتمل تناول العشاء، فعليك اختيار أقل الوجبات إزعاجاً والتي لا تظهرك في صورة المتوحش! فلا تطلب أكلات لا تعرف مكوناتها، وكذلك الأطباق كثيرة الصوص والإضافات والتي تتسبب في إرباكك أثناء تناولها، كما لا يفضل تناول الوجبات التي تتطلب مجهوداً في تقطيعها وتناولها كالمأكولات البحرية.

كذلك اتبع خطوات الاتيكيت العامة في تناول الطعام، ولا تعتبر ذلك نوعاً من التلقائية والعفوية، وإذا لم يعجبك الطعام يمكنك أن تطلب من النادل تغييره بهدوء دون إحداث جلبة.

لست في حاجة للتذكير بأن إصدار الأصوات أثناء تناول الطعام والحديث أثناء مضغه من أكثر الأمور المثيرة للاشمئزاز. ومن الناحية الأخرى، لا تتكلف في تناول الطعام، بل تناوله ببساطة كما تتناوله يومياً، ربما يكون الأمر صعباً إلى حد ما ولكن طلب السلطة أو رفض الطعام لن يشعر الطرف الآخر أنك رشيق.

أنا ومن بعدي الطوفان

لا تتحدث عن نفسك كثيراً وحاول الانصات إلى الطرف الآخر، بحيث لا تبدو مزهواً بنفسك بصورة تثير حنق الطرق الآخر.

إنس الهاتف والساعة

اترك هاتفك المحمول أثناء اللقاء وتجنب الرد على المكالماتَ غير الهامة، وكذلك لا تطل في الرد على المكالمات العاجلة، كثرة النظر في الساعة تعطي انطباعاً بشعورك بالملل من الطرف الآخر.

فإذا أردت إنهاء اللقاء حاول القيام بذلك عن طريق إنهاء الحوار بطريقة لطيفة، سواءاً بتخفيف الحديث وعدم الإطالة في المجادلة، ولا بد أن تختم اللقاء بجمل تعبر عن سعادتك واحترامك للطرف الآخر.

كلمات متقاطعة

	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11
1											
2											
3		■							■		
4						■					
5			■	■			■				
6					■			■		■	
7								■			
8	■				■					■	
9		■		■					■		
10					■						■
11			■			■	■				

أفقي:

١- أول قيصر لروسيا لقب بـ (الرهيب)
٢- شاعر غنائي عربي راحل كتب العديد من أغاني أم كلثوم
٣- الحرير – اثنان (بالأجنبية)
٤- البحيرة التي سيشربها يأجوج ومأجوج في آخر الزمان – شهر ميلادي
٥- علامة موسيقية - فقد الحركة /م/ سلاماً وطمأنينةً
٦- ينظر بإمعان – حرفان من (وطواط)
٧- دولة أفريقية أسسها عبيد أمريكيون أرادوا العودة إلى أفريقيا – إبل
٨- حكى وروى – من أعضاء الجسم الداخلية وظيفتها تنقية الدم وإفراز البول من الدم
٩- فصاحة وبلاغة /م/ – والد
١٠- ثابت وراسخ – فصيلة من الطيور ينتمي إليها العقاب والباز /م/
١١- الصديق الوفي – بسط – قديم ورث

عمودي:

١- عالم وطبيب وفيلسوف عربي – صغير الطير
٢- متشابهان – عاصمة أوروبية– للتعريف
٣- هروب – مصباح
٤- رجائي – (ودي) مبعثرة – بحر
٥- نجم تنس إسباني وبطل عالمي
٦- وجع – ممثلة مصرية قديرة
٧- نزهق الروح /م/ – أرسطو
٨- دولة عظمى – الخراب
٩- حرف ناصب – بدينة – للندبة
١٠- حقل – تناول الطعام
١١- أغنية (لنجاة الصغيرة)

الحل السابق

أفقي:

١- الكاميرا – فن
٢- الأفكار
٣- صحبة – بانيو /م/
٤- واو – عزز – غرر
٥- تذله – رابية /م/
٦- أين – بعد
٧- الهياكل
٨- الميزة – يأمل
٩- فنن – محن
١٠- رف – الشهاب
١١- المسعودي – آر /م/

عمودي:

١- الصوت – كافراً
٢- حاذق – (ل ن ف ل)
٣- كابول – أمن
٤- إله – هالي – حسن
٥- ما – يهزأ
٦- يفوز – نية – أو
٧- ركيزة – بلد
٨- (ا ا ن) – يبكي – شي
٩- راغب علامة
١٠- براد – محار
١١- نو – (رر) – النبأ

الكلمة المفقودة

- المعلم. يا من أعطيت للحياة قيمة. يا من غرست التميز ومعانيه بين جدران مدرستنا. لكي نحلق في سمائها. لذا نرسل لك وساماً من النور بعدد كل نجوم السماء. - في جمال العمل إصلاح العمل

ن	ا	غ	ر	س	ت	و	ل	ل	ل	ك	ي
ر	ل	س	و	م	ج	م	ذ	ل	م	ن	ا
س	ت	م	س	ج	د	ع	ا	ح	ب	ك	م
ل	م	ا	ا	م	ر	ا	ا	ي	ع	ل	ن
ب	ي	ئـ	م	ا	ا	ن	ص	ا	د	ن	ن
ي	ز	هـ	ا	ل	ن	ي	ل	ة	د	ج	ح
ن	ك	ا	ف	ي	س	هـ	ا	ي	ي	و	ل
ا	ل	ع	ل	م	م	غ	ح	ا	م	م	ق
ف	ا	ل	س	م	ا	ء	و	ر	ن	ك	ق
ي	ا	ل	ن	و	ر	ا	ل	ع	م	ل	ي
م	د	ر	س	ت	ن	ا	ي	ل	ك	ي	م
ا	ع	ط	ي	ت	ا	ل	م	ع	ل	م	ة

المفقودة مؤلفة من عشرة حروف: مؤلف رواية الأم

الحل السابق: دان براون

الأبــراج

الحمل: تجنب الخوض في مشاريع جديدة أو اتخاذ قرارات هامة خلال الأسبوعين القادمين فالأجواء غير ملائمة حالياً. عاطفياً: علاقتك مع الحبيب في أفضل حالاتها وقد تقدم على خيار مصيري خلال الفترة القادمة.

الثور: كن إيجابياً فهذا الوقت مناسب لتحقيق أمنيات طال انتظارها وكن حكيماً في التصرف ولا توكل المهمات لأشخاص غير جديرين بالثقة. عاطفياً: ربما تطرأ أوضاع غير متوقعة تنقلك إلى أجواء مفرحة وسعيدة خلال الشهر القادم

الجوزاء: تكون الأيام الأربعة القادمة مناسبة للعمل الروتيني فقط فالمجازفة لا داعي لها خاصة إذا تعلق الأمر بالمال. عاطفياً: تبدو حياتك الاجتماعية مليئة بالصخب وقد تعرف لقاء يجمعك بالنصف الآخر الذي تبحث عنه.

السرطان: نظم وقتك وأعد ترتيب أوراقك ولا تقم بجهود عبثية لا فائدة منها خاصة وأن أمامك فرصة ثمينة لتحقيق قفزة نوعية في الحياة المهنية. عاطفياً: علاقتك الجديدة قد تثير البلبلة بسبب أمور غير واضحة وعليك الاستفادة من دروس الماضي

الأسد: يصادفك حظاً كبيراً وتأثيرات نادرة وتكون قادراً على معالجة الأوضاع العالقة والانتقال إلى مرحلة من المكاسب والنجاح على أكثر من صعيد. عاطفياً: تعيش فترة رقيقة وهادئة على الصعيد العاطفي ثم تنتقل إلى مرحلة أكثر شغفاً وحماسة.

العذراء: كن مستعداً لاستغلال الفرص ولا تضيع الوقت بالتحليل والمراجعات فكلما أسرعت بالمبادرة كانت النتائج أفضل. عاطفياً: تقودك الأيام إلى السعادة وتعيش حباً عاصفاً وغير اعتيادي يجعلك أكثر إشراقاً وحيوية.

الميزان: قد تتخذ قراراً مالياً يتعلق بمصالح مهنية جديدة والنجاح سيحالفك في خطواتك. اعتمد على نفسك ولا توكل المهمات للآخرين. عاطفياً: تنظر إلى قريب منك بطريقة مختلفة وتتحرك مشاعرك تجاهه فقد يكون الحب من جديد.

العقرب: إياك أن تضغط على الأحداث أو تستعجل أمراً فكل تصرف غير مدروس قد يوقعك في مشاكل ويؤخر حصولك على ما تريد. عاطفياً: تستقر أوضاعك وتجد الشريك إلى جانبك في كل الخطوات، خبر سار في طريقه إليك إذا كنت عازباً.

القوس: اعتمد على نفسك ولا تنتظر شيئاً من الآخرين فأنت قادر على تحقيق أفضل النتائج بفضل مهارتك وأسلوبك العملي في إدارة الأمور. عاطفياً: بعض التقلبات تطرأ على حياتك العاطفية بسبب ظروف خارجية كن أكثر هدوءاً ولا تحمل الطرف الآخر أموراً تفوق طاقته.

الجدي: تتحسن أوضاعك في العمل ويزداد المردود المالي تدريجاً ولكن احرص على الحذر والدقة في خياراتك حتى لا تقع ضحية الخداع. عاطفياً: تكون علاقتك بالحبيب أو الشريك مليئة بالحماسة وتعرف تطورات هامة سوف تغير مجرى حياتك.

الدلو: تتصدر اهتماماتك بعض الأمور العائلية والتحولات الإيجابية المفاجئة. كما تقوم بمبادرات مثمرة على الصعيد المهني. عاطفياً: قد تعلن عن عاطفة كانت مكتومة وتبدي جرأة وثقة عالية بالنفس سيكون لها أثر إيجابي على سير الأمور.

الحوت: تحصل على نتائج جيدة من جهود سابقة رغم أنك كنت تتوقع الأفضل انتظر فرصة قريبة قد تحقق فيها ما تصبو إليه. عاطفياً: تتلقى اعترافاً بعاطفة أو برهاناً عن حب صادق يجعلك تنسى معاناتك السابقة.

البعث
الأسـبوعية

جدة الكاميرات.. تراث اللقطة الحلبية بالأبيض والأسود



"البعث الأسبوعية"
ـ غالية خوجة

المدينـة المستيقظة على الهضبة، تفتح عيون قلعتها على الفصول، وتنظر إلى مناطقها كافة، لتبدو مثل "تلسكوب" يعمل على صفاء النية بحاسته السابعة، متأملاً أحوال الناس الذين كانوا هنا في القرن التاسع عشر، وكيف كانت حياتهم تعتمد على البساطة الشديدة والعفوية البرّيّة، وكيف كانت آلة التصوير الجديدة تجذبهم بلقطاتها، وكيف كان المصور يرتدي القماشة على رأسه ليكون الإعتام مناسباً للعدسة وهي تلتقط الهدف ضمن "الفوكاس" المحدد، لتكون عين المصور فنية تقترب من تحويل اللقطات إلى لوحات.

هذا ما كانت عليه حلب، وهي ترصد منطقة الجميلية، عام ١٩٥٦، وكيف يزدحم الناس في عبّارة عتيقة المبنى في شارع الشاعر البحتري، وهم يتوافدون على المصور ديكران، الخبير ليس بالتقاط الصورة وتجميد اللحظة والمشهد، بل، أيضاً، الخبير بالعوامل والعناصر الفنية المتناغمة بين جدة الكاميرات الكبيرة الأولى وبين حاسته البصرية التي تلتقط الجماليات ثم تحولها إلى صورة من خلال تحميض الأفلام يدوياً.

ولو جمعنا "نيغاتيف" الأفلام، لأخبرنا ديكران خربويان عن تلك العتمة، وهي تستقر في مخبره لتخرج الصور إلى الأبيض والأسود، ولنتعرف إلى العديد من الشخصيات الحلبية التي صورها، مثل صباح فخري أيقونة حلب الذي ما إن تتأمل صورته حتى تستمع روحك إلى الغناء الحلبي الأصيل من قصائد وموشحات وقدود، وميادة حناوي مطربة الأجيال وهي تصدح بقصيدة الجواهري "شممت تربك"، وأيضاً، تلتفت في "أستوديو ديكران" لتطالعك صورة عمر حجو الممثل الحلبي الذي ترك بصمته في أعماله، ورحل كما رحل المصور ديكران مع بداية العشرية الإرهابية، تاركاً روحه تحوّم بين من صوّرهم، من شخصيات دينية وتجارية وفنية وأدبية وعامة.

لن أنسى كيف كان أبي، رحمه الله، يصطحبني معه أينما كان، وكان دليلي الآثاري السياحي بين القلعة وأسواق المدينة وحاراتها وأزقتها ومناطقها الحيوية وجوامعها وكنائسها، وكيف كنا نتسكع في رحلاتنا السياحية الداخلية وهو يبحث عن القطع الآثارية التي يعشق اقتناءها من ساعات وأدوات فخارية وموسيقية و"قباقب فسيفسائية"، وأثاث وأدوات منزلية وغيرها، وكلما وصلنا إلى الجميلية دخلنا إلى أستوديو المصور ديكران. هنا، رأيت، الآن، خطواتي الصغيرات تمشي في هذا الأستوديو، وشعرتُ بأنامل أبي تمشط شعري لأكون اللوحة الأجمل التي يحبها، ثم نظرت إلى المكان من جديد، وشاهدت صورة ديكران بين الشخصيات الحلبية المعلقة على الجدران، والصامتة، إلاّ قليلاً، تحت زجاج المكتب الشفاف.

تساءلت عن أسرار الفن في هذا المكان مع جورج حماليان المصور الحالي لأستوديو ديكران، وهو من مواليد ١٩٤٤، فأجابني: منذ صغري وأنا أعمل في فن التصوير، وكنت مع ديكران منذ التحميض اليدوي بالعتمة، وتعلّمت منه الخبرة اليدوية والدقة في العمل والإنجاز، ثم تطورت أدوات التصوير، وانتقلنا إلى الملوَّن، وكنّا نهتمّ بخلفية الصورة، ونجمّلها بالمشهد المناسب، ومن أهم الأسرار الهارموني بين الضوء والظل، وكثافة الألوان، والملامح الداخلية المنعكسة على الملامح الخارجية والعوامل المحيطة باللقطة.

أمّا عن علاقة هذا التراث التصويري واستمراريته في ظل الكاميرات الرقمية، فأخبرني حماليان: نتطور مع أدوات العصر، ورغم وجود الكاميرات بين أيدي الجميع وهواتفهم الجوّالة، إلاّ أننا ما زلنا نعمل بفنية مختلفة.

غادرت الأستوديو ومضيت، وظلت في ذاكرتي صورة المطربة حناوي وصوتها الذي غنّى "شممت تربك" للجواهري، و"ليه يا بنفسج" التي صدحت بها كما صدح بها صالح عبد الحي؛ وكلما تصفّحت ألبومات صوتها في دواخلي، رأيت كيف تزهر الذكريات في شوارع حلب، وكيف درست مطربة الأجيال في مدارسها، بينما تبرز سيرة صباح فخري مع كل نسمة هواء تعبر هذه المدينة الشهبائية، وتشرد بين "ع الروزانا" و"خمرة الحب اسقنيها"، والقدود والموشحات.

ولا تنسى هذه الذاكرة مشاهدها الملتقطة بالأبيض والأسود تاريخها، وكيف كانت العزيزية، وساحة باب الفرج، وأسواق المدينة، والقلعة بحجارتها الفائضة بالحكايات التأريخية والتراثية والمعاصرة، خصوصاً، عندما كان يمر الناس حولها، ويصادقها الساكنون في بيوتهم العريقة ذات الفسحة المزهرة بأحوالهم، وأحوال غرفهم، وأبوابهم القديمة المزركشة، ومصاريعها المضيافة، ونافورتها المائية الصغيرة وهي تتوسط صحن الدار، بينما ترفع مياهها إلى الأعلى من أفواه السباع الحجرية الملتفة حول بركة الماء.

وقبل منعطف العودة إلى اللحظة، أستعيد ما مضى من الوقت بين مدرسة كيليكيا في أحد أزقة التلل الأثرية، التي قضيت فيها طفولتي كبراعم أولى وثانية، وكيف كانت تصطحبني إليها مديرتها الفنانة التشكيلية صافيناز، بحكم الجيرة والمحبة، وبين الحجارة البازلتية القريبة من حي الجديدة الضاج بالحركة التجارية بين الذهب والدجاج والأقمشة والأثاث ورائحة الفول التي تجعل الحاج عبدو ينافس الحاج رضا، بينما تبرز الأسماك بعيونها اللامعة في دكاكين أخرى.

ما زالت مدينة حلب تحدق بصورتها القديمة اللامعة بمشاهد تراثية بالأبيض والأسود، فتبدو المآذن معانقة الكنائس، ولن تستغرب إذا ما سمعت صوت الآذان مع صوت القداس يذكّران بالصلاة منذ ما قبل الأبيض والأسود وحتى الآن وبعد الآن.

ولن تنسى كيف كان، وما زال، محيط القلعة يبتسم وهو يرى أهالي حلب يحيطون به، ويجلسون بين المقاهي المحيطة بالقلعة، أو يمارسون الرياضة بين النهار والليل.

لا القلعة ولا المدينة تنسى جنودها الأبطال الذين حرسوا هذه الحياة، فاستشهدوا، لتنتصر سوريتنا الحبيبة، وتعود الحجارة إلى مساكنها، والأشجار إلى فصولها، والمغادرون إلى بيوتهم، والعصافير إلى أشجارها، والسماء إلى لونها الماكث نصفه في لقطة "ديكران"، والمتحرك نصفه بين الغيوم والبيوت ودلالات الألوان.